أساليب الصناعة

في شعر الخمر والأسفار

بين الأعشى والجاهليين

الدكتور محمد محمد حسين

رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بيروت العربية

١٩٧٢

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر

بيروت ص.ب ٧٤٩



مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين .

وبعد ، فهذان فصلان من بحث كنت قد قدمته إلى جامعة القاهرة فى العام الدراسى (١٩٣٩ — ١٩٤٠) فحصل على درجة « الماجستير » فى الأدب العربى وإنما حفزنى إلى نشره الآن بعد مضى ذلك الزمن الطويل أن بعض الباحثين قد نقلوا عنه ونسبوا ما نقلوه إلى أنفسهم . وربما شوهوا ما نقلوه أو اقتضبوه . لذلك رأيت — ردًّا على هؤلاء ، وتعميما للنفع به ، إن كان — أن أنشر هذين الفصلين فى الصورة التى قدمتهما بها ضمن ذلك البحث يومذاك ، مكتفيا بهما دون سائره ، بعد الذى نشرته عن الأعشى فى كتاب « الهجاء والهجاءون فى الجاهلية * » وفى مقدمة « ديوان الأعشى الكبير » .

والله سبحانه وتعالى هو المسئول أن يهدينا لأقوم طريق ، وأن يتجاوز عما كان أو يكون من زلات القلم وعثرات اللسان .

محمد محمد حسين

رمل الاسكندرية ١٣ جمادى الأولى ١٣٧٩

(١٣—١١—١٩٥٩)

---

* ارجو ان انبه فى هذا الموضع الى ان فى الفصلين المكتوبين من « الهجاء الدينى » وعن « حسان بن ثابت » انحرافا ارجو ان اتداركه فى الطبعة الثانية ان شاء الله ، كما ان الفصلين الاول والثانى من « الهجاء والهجاءون فى صدر الاسلام » لم يسلما من ذلك فى بعض المواضع ، وان جعل الله فى العمر بقية رجوت ان اصلح ما افسدته .

في شعر الخمر

يخبرنا نقاد الشعر أن الأعشى فاق بخمرياته الشعراء فكان إماماً لمن جاء منهم بعده . ويخبرنا الرواة أن سبب عدول الأعشى عن الاسلام هو الخمر. ويخبروننا فيما يروون أن بعض ولاة اليمامة سأل عن دار الأعشى فدل عليها ؛ وسأل عن قبره فأخبر بأنه فى فناء الدار . فقصد إلى هذه الدار ، ورأى القبر فإذا هو رطب . فسأل عن عِلّة رطوبته فأُخبر بأن الفتيان يجتمعون حول القبر فيشربون ، حتى إذا جاء دور الأعشى صبوا نصيبه فوق قبره .

مثل هذه الأخبار ، إن تكن أقرب إلى قصص القصاص منها إلى الحقيقة الواقعة ، فهى تصور لنا الأعشى فى صورة لا تبعد عن الحقيقة إلا بقدر ما فيها من مبالغات الرواة التى يقصد بها إلى استمالة الآذان إلى حديثهم . فشأننا حين نقرؤها شأن الذى يقرأ قصة تاريخية . لا يصدق كل ما جاء فيها من دقائق وتفاصيل . ولكنها فى جملتها تصور العصر والأشخاص الذين كتبت عنهم .

وإذا كان قصص الرواة لا يعدو فى قيمته هذا الحد فهو صحيح فى خمريات الأعشى . فقد رووا له فى الخمر ما يقرب من مائة وخمسين بيتا ، وهو قدر يكاد يوازى مجموع ما روى لغيره من الشعراء الجاهليين فى الخمر أو يزيد . وقد جاء مبعثرا فى دواوينهم ، لم يقصدوا فيه إلى وصف الخمر ، ولكنهم ذكروها لبعض المناسبات ، ومروا بها مرورا سريعا . قالوا إنها حمراء ، وأن ريحها طيب فواح كالمسك ، وأنها معتقة . وشبهوا بها رضاب صواحبهم . ووصفوا الساقى الذى يحملها إليهم فى بعض الأحيان .

فامرؤ القيس يذكر الخمر حين يقف بالديار ، فيشبه نفسه بالثمل ليصور لنا ذهوله وما أخذت هذه الآثار من نفسه ، فيقول :

فظلِلْتُ فى دِمَنِ الديار كأَنَّنى نشوانُ باكَرَه صَبُوحُ مُدَامِ

أُنُفٌ كلون دم الغزال معتقٌ   من خمر عانة أو كروم شِبَامْ(١)
وكأن شاربها أصاب لسانَه   مُومٌ يخالط جسمَه بسَقَامْ(٢)

ويمر بها مرورا سريعا حين يشبه رضاب صاحبته بالخمر فيقول :

كأن المُدَامُ وصوْب الغمام   وريحَ الخُزَامَى ونَشْرَ القُطُرْ(٣)
يُعَل به بَرْدُ أنيابها   إذ طرَّب الطائرُ المستحِرْ(٤)

أو يقول :

لَلَيْلٌ بذات الطَّلْح عند مُحَجَّر   أحبُّ إلينا من ليال على أُقُرْ
أُغادى الصَّبوح عند هِرٍّ وفرتَنٍ   وليدًا وما أفنى شبابى غيرُ هِرّْ(٥)

وطرفة لا يذكرها إلا فى مطولته . وهو يمر بها مرا سريعا حين يصور لنا فتوته وكرمه . فهو يَصبّح من يأتيه كأسا روية . وهو رجل لا يؤمن ببعث أو نشور فهو يروى نفسه فى حياته قبل أن يدركه الموت ، ويقول للائمه (ستعلم إن مِتْنا غدًا أيُّنا الصَّدِى) .

وكذلك الشأن فى عمرو بن كلثوم . بدأ معلقته بأبيات فى الخمر ، ختمها بمثل ما ختم به طرفة أبياته ، فقال :

---

(١) انف لم يشرب من دنها احد من قبله . عانة بلد مشرفة على الفرات بين الرقه وهيت . شبام قرية فى اليمن .

(٢) الموم هو مرض الجدرى أو هو مرض من نوعه اشد منه .

(٣) صوب الغمام ماء السحاب . الخزامى نبت حسن الريح . ونشر القطر ريح العود الذى يتبخر به .

(٤) يعل يسقى مرة بعد مرة . طرب رفع صوته . المستحر المؤذن بالسحر وهو الديك .
(٥) الطلح ومحجر واقر مواضع . هر وفرتن امرأتان .

وأنّا سوف تدركنا المنايا مقدّرةً لنا ومقدّرينا
وأن غدًا وأن اليوم رَهْنٌ وبعدَ غدٍ بما لاتعلمينا

أما زهير فليس له غير أبيات فى قصيدته (عفا من آل فاطمة الجواءُ) وهو كطرفة ، يذكر الخمر حين يتمدح بفتوته وكرمه ، فيقول :

وقد أغدو على شَرْبٍ كرام نَشَاوَى واجدين لما نشاءُ
لهم راحٌ وراووقٌ ومِسْك تُعَلُّ به جلودُهُمُ وماءُ(١)
يجرّون البرُود وقد تمشت حُمَيَّا الكأس فيهم والغِناءُ
تَمَشَّى بين قتلى قد أُصيبت نفوسُهُم ولم تُهرَق دماءُ

ونجد بعد ذلك أبياتا شبيهة بما مضى لعنترة فى مطولته (هل غادر الشعراءُ مِن مُتَرَدَّم) ولِلَبِيد والمرقِّش الأصغر ، والمنخَّل اليَشْكرى فى قصيدته (إن كنتِ غاذلتى فسِيرى * نحوَ العراق ولا تحُورِى) ، وللأسود بن يَعفُر ، والمتلمِّس .

ولا نكاد نستثنى من الجاهليين غير ثلاثة شعراء فصلوا فى الخمر بعض التفصيل : أولهم حسان بن ثابت ، ويليه عدى بن زيد وعلقمة بن عبدة . على أننا لا نعرف لعلقمة غير أبيات فى قصيدته (هل ما علمت وما استودعت مكتوم) ولا نعرف لعدى غير مقطوعات أربع لاتزيد فى مجموعها عن ستة عشر بيتا . أما حسان فهو أكثر الجاهليين خمرا بعد الأعشى . له فيها أربعون بيتا — إذا استثنينا بعض أبيات اختلف فى نسبتها إليه . وقد استثنينا من الجاهليين علقمة وعديا مع قلة ما وصل إلينا من شعرهم

---

(١) الراووق الاناء الذى يروق فيه الخمر . تعل جلودهم بالمسك أى تسقى به حين تدهن مرة بن مرة .

فى الخمر ، لأننا نلاحظ فى هذا القدر الضئيل الذى بقى لنا من شعرهم أنهم عنوا بوصف الخمر عناية الفنان الذى لا يقصد منه غير اللذة الت يجدها فى التعبير عما فى نفسه . فهم لم يمروا عليها مرورا . ولم يذكروها مفتخرين متمدحين بفتوتهم . ولم يذكروها لأنهم أرادوا أن يشبهوا رضاب صواحبهم بها . ولكنهم ذكروها لأن لهم فى وصفها لذة فنية خالصة .

يقول علقمة فى قصيدته :

قد أشهد الشَّربَ فيهم مِزْهر رَنِم ... والقوم تصرعهم صهباءُ خُرْطوم(١)

كأسُ عزيزٍ من الأعناب عتقها ... لبعض أربابها حانيةٌ حُومُ(٢)

تشفى الصداع ولا يؤذيك صالبُها ... ولا يخالطها فى الرأس تدويم(٣)

عانيَّةٌ قَرقَفٌ لم تُطَّلع سنة ... يُجِنها مُدمَجٌ بالطين مختوم(٤)

ظلت تَرَقْرَقُ فى الناجود يَصْفِقها ... وليدُ أعجمَ بالكتَّان مَفدوم(٥)

كأن إبريقهم ظبيٌ على شَرَفٍ ... مفدَّمٌ بسَبَا الكتَّان مَلثوم(٦)

أبيضُ أبرزه للضِّحِّ راقِبُه ... مقلَّدٌ قُضُبَ الرَّيحان مَفغوم(٧)

هى خمر عانة ، عتقها لبعض ملوك العجم حذاق الخمارين فى دن طلى

---

(١) الحرطوم أول ما يجرى من العنب عند عصره وهو اجود الخمور .

(٢) عزيز ملك . عتقها حانية اى خمارون نسبة الى الحانة ، والفرد حانى . حوم جمع حائم اى انهم يحومون حولها يحرسونها .

(٣) الصالب وجع فى الراس . المدويم الدوار .

(٤) عانية منسوبة الى عانة من قرى الجزيرة . قرقف تأخذ شاربها رعدة ، لم تطلع سنة مكثت فى دنها سنه لم ينظر اليها . المدمج بالطيں هو الدن .

(٥) الناجود وعاء الخمر . ولد أعجم اى خادم ملك أعجم . مفدوم يشد الفدام وهو خرقة يشدها الساقى على فمه وهى من زى الفرس .

(٦) سبا الكتان يقصد سبائبه جمع سبيبة وهى الشقة .

(٧) الضح الشمس . راقبه وحارسه . مفغوم فغمه الطيب أى سد خياشيمه .

بالطين وختم على فمه . ثم أخرجت فصفاها ساق أعجمى قد تَفَدَّم بخرقة من نسج الكتان . ونَصَّها فى إبريق عليه مصفاة من نسيج الكتان . كأنه ظبى صغير أبيض مقلد قضب الريحان ، أبرزه القائم على رعايته للشمس فى مكان مرتفع ، وقد أفغم الإبريق المكان وملأه برائحة الخمر القوية النفاذة . ولا يزال الشرب فى طرب يستمعون إلى العود حتى تصرعهم الخمر

ويقول عدى فى قصيدته (بكر العاذلون فى وضح الصبح يقولون لى ألا تستفيق) :

ودعَوا بالصَّبوح يوماً فجاءت　　قَيْنَــةٌ فى يمينها إبريق
قدمَتْه على عُقارٍ كعين الديـ　　ـك صفىٍّ سُلافها الرَّاوُوقُ[1]
مُرَّةٌ قبل مزجها فاذا ما　　مُزِجت لَذَّ طعمُها من يذوق
وطفا فوقها فقاقيعُ كاليا　　قوت حُمرٌ يَزِينها التصفيق
ثم كان المِزاجُ ماءَ سحاب　　لا صَدًى آجنٌ ولا مطروق

ويصف الخمر فى دير علقمة بن عدى فى قطعة أخرى فيقول :

نادمتُ فى الدير بَنِى علقما　　مشمولةً تحسبها عَنْدَما[2]
كأن ريحَ المِسْكِ فى كأسها　　إذا مزجناها بماء السما
من سرَّه العيشُ ولذاتُه　　فليجعل الراحَ له سُلَّما
علقمُ ما بالُكَ لم تأتنا　　أما أشتهيتَ اليومَ أن تَنْعَمَا ؟!

---

(١) العقار نضد لا يبدل الا فى الاعياد ونحوها . وهو كذلك الخمر لمعاقرتها — اى لملازمها — الدن .

(٢) المشمولة الخمر اذا عرضت لريح الشمال الباردة . العندم نبت له صبغ أحمر .

وله بعد ذلك مقطوعتان قصيرتان .

أما حسان — رضى الله عنه وغفر له — فهو رفيق الأعشى فى الجاهلية ، قبل أن يكرمه الله بالدخول فى الإسلام والدفاع عنه . روى الرواة فى خبرهما حينذاك أنهما قدما بيتا من بيوت الخمر فنام حسان . وسمع الأعشى يقول (كره الشيخ الغُرْم) ، فسكت حتى إذا دوخت الخمر صاحبه قام فاشترى خمر الخمارة وسكبه على الأرض حتى بل ثياب الأعشى . فقام من نومه يعتذر إلى صاحبه وقد علم أنه سمع ما قال .

ولخمريات حسان لون يختلف عما قدمناه من خمريات علقمة وعدى وعما سيأتى من خمريات الأعشى . فالبيئات التى يصفها فى هذه الخمريات رومية ، فالبيوت من رخام ، والأرض قد فرشت بالأبسطة وبثت فوقها النمارق ، والساقى أحمر اللون قد تنطق بنطاق وعلق فى كل أذن لؤلؤة ولبس فوق رأسه قلنسوة . وأسماء الأماكن شآمية ، على غير ما نرى فى خمريات أكثر الجاهليين من أسماء فارسية . ثم هى تختلف عن خمرياتهم فى شىء آخر ، هو أن الشاعر قد فرغ فيها لتصوير اللهو ، فهى غزل وخمر ، وقد يختمها بالفخر . فمن ذلك قوله :

كأن فاها ثَغَبٌ بارد ... فى رَصَفٍ تحت ظلال الغَمامْ[1]
شُجَّتْ بصهباءَ لها سَوْرَةٌ ... من بيت رأسٍ عُتقت فى الخيام[2]
عتقها الحانوت دهرًا فقد ... مر عليها فَرْطُ عامٍ فعامْ[3]
نشربها صِرْفا وممزوجة ... ثم نُغَنَّى فى بيوت الرخام

---

(١) الثغب الغدير فى ظل جبل لا تصيبه الشمس . الرصف الحجارة المتراصفة المتدانية .
(٢) شجت مزجت . بيت رأس قرية بالاردن .
(٣) الحانوت الخمار .

تدِبُّ فى الجسم دبيبا كما ... دب دَبًى وَسْط رَقَاقٍ هيَام(١)

كأسا إذا ما الشيخ وَالَى بها ... خمسًا تردَّى برداء الغلام

من خمر بَيْسَانَ تخيرتُها ... ترياقةً تُسرع فتْرَ العظام(٢)

يسعى بها أحمرُ ذو بُرْنُسٍ ... مُخْتَلقُ الذِّفرى شديدُ الحزام(٣)

أروع للدعوة مستعجل ... لم يثنه الشأنُ خفيفُ القيام(٤)

ويقول فى قصيدة أُخرى :

لله در عصابة نادمتُهم ... يوماً بجِلَّق فى الزمان الأَولِ(٥)

يَسْقُون من وَرَدَ البريصَ عليهم ... برَدَى يصفِّق بالرحيق السَّلْسل(٦)

يُسْقوْن دِرْيَاقَ الرحيق ولم تكن ... تُدْعَى ولائدُهم لنَقْفِ الحَنْظل(٧)

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأُنوف من الطراز الأَول

ولقد شربتُ الخمر فى حانوتها ... صهباء صافيةً كطعم الفُلْفُل

يسعى علىَّ بكأسها مُتَنَطِّفٌ ... فيَعُلُّنِى منها ولو لم أنْهَلِ(٨)

---

(١) الدبى اصغر النمل . الرقاق (بفتح الراء) الصحراء والأرض اللينة . الهيام . (بفتح الهاء) ما لا يتماسك من الرمل .

(٢) بيسان قرية فى الشام . والترياقة الخمر وهى فى الاصل دواء السموم .

(٣) البرنس قلنسوة طويلة كانت تلبس فى صدر الاسلام . وهو كذلك كل ثوب رأسه ملترق به . الذفريان العظمان الناتئان خلف الأذن وهو اول ما يعرق فتتغير رائحته . مختلق مطلى بالخلوق (بفتح الخاء) وهو ضرب من الطيب .

(٤) أروع حاد يقظ .

(٥) جلق هى دمشق أو موضع كان قريبا منها .

(٦) البريص نهر بدمشق وبردى نهر آخر . الرحيق الخمر البيضاء .

(٧) الدرياق الخمر ، على التشبيه بدواء السموم لانها تذهب بالهموم . نقف الحنظل شقه لاستخراج حبه اى انهم ملوك لا يرسلون ولائدهم لهذا العمل كما تفعل العرب .

(٨) متنطف فى أذنه نطفة ، وهى لؤلؤة صغيرة كان يعلقها الساقى فى أذنه .

إن التي ناولَتْني فرددتُها   قُتِلَتْ – قُتِلْتَ – فهاتِها لم تُقْتَل [١]

كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطني   بزجاجةٍ أرخاهما للمِفْصَل [٢]

بزجاجةٍ رقصَتْ بما في قعرها   رَقْصَ القَلُوص بِرَاكب مستعجل [٣]

ويقول في قصيدة أُخرى :

ولسنا بشَرْب فوقهم ظِلُّ بُرْدةٍ   يُعِدون للحانوت تَيْسًا مُفَصَّدا [٤]

ولكننا شَرْب كرامٌ إذا انتشوا   أهانوا الصَّرِيح والسَّديفَ المُسَرْهَدا [٥]

وإن جئتَهم أَلْفَيْتَ حولَ بيوتِهم   من المِسْكِ والجَادِي فَتيتًا مُبَدَّدا

ترى فوق أثناء الزَّرابيِّ ساقطا   نعالا وقَسُّوبا ورَيْطا مُعَضَّدا [٦]

وذا نُطَفٍ يسعى ملصَّقَ خدِّه   بديباجةٍ تَكْفافُها قد تَقَدَّدا [٧]

ومن شعره في الخمر ، الذي يصور تفكيرًا شبيهًا بتفكير طرفة :

---

(١) قتل الخمر كسر حدتها بمزجها بالماء .

(٢) كلتاهما أي التي مزجت والتي لم تمزج . الزجاجة هنا الكأس .

(٣) القلوص الفتية من الابل .

(٤) البردة كساء مخطط . التيس ذكر الظباء والمعز والوعول . كانت العرب في أزمان الشدة تفصد البعير أو التيس أو نحوهما ، فاذا خرج دمه سخنوه وأكلوه . وقد حرم ذلك الاسلام . يقول انهم لا يجلسون للخمر مجالس البدو يستظلون ببردة ويأكلون دم الفصيد ، ولكنهم يجلسون لها مجالس المترفين .

(٥) الصريح الخالص . يقول انهم يهينون الاصل بذبحه ولا يأكلون دمه ، السديف السنام . المسرهد السمين .

(٦) الزرابي النمارق والبسط ، وكل ما بسط واتكىء عليه . القسوب ضرب من الخفاف لا واحد لها . الريطة ثوب لين خفيف يشبه الملحفة . المعضد ثوب مخطط على شكل العضد من لابسه ، أو له علم في موضع العضد .

(٧) الديباج الثوب الذي سداه ولحمته حرير . كفة القميص (بضم الكاف) ما استدار حول الذيل ، وحاشية كل شيء . تقدد أي تقطع قددا . لعله يقصد ان هذه القطعة من الديباج ذات هداب في حاشيتها .

ومُمسك بصداع الرأس من سُكُر ناديتُه وهو مغلوب فَفَدّانى
لما صحا وتراخى العيشُ قلتُ له إن الحياة وإن الموت مِثْلان
فاشرب من الخمر ما آتاك مَشْربُه واعلمْ بأنّ كلُّ عيشٍ صالحٍ فانى*

أما الأعشى فقد كان يونس بن حبيب محقا حين عده أشعر الجاهليين إذا طرب . فالواقع أنه قد أطال فى الخمر وفصل ، وافتن فى وصفها ووصف مجالسها . وليست الإطالة والتفصيل هى كل ما يميزه عن غيره من الشعراء لجاهليين . فهناك ميزة أخرى لعلها أكثر أهمية . وهى أن الأعشى قد اصطنع فى خمرياته البحور القصار التى تلائم ما يصور من ألوان المجون والخلاعة . فنى ديوان الأعشى عشر قصائد من بحر المتقارب ، ست منها فى الخمر . وله قصيدتان من بحر الرمل ، كلتاهما فى الخمر . وليست هذه القصائد خمرا من أولها إلى آخرها . فكلها فى المدح . ولكن الشاعر بدأها بالغزل والخمر . ولم يستقم له تصوير اللهو والمجون بغير هذه البحور القصار فلما جرى أول القصائد على هذا النحو كان الشاعر مضطرًا أن يمضى عليه فيما هو بسبيله من مدح .

وللأعشى بعد ذلك ست قصائد فى الخمر أنشأها على بحور طوال : أربع من بحر الطويل ، وواحدة من البسيط ، وواحدة من الوافر . والواقع

---

* وقد وصل الى يدنا عدا ذلك فيما أثر من شعر الخمر الجاهلية أبيات لعبدة بن الطبيب واخرى للأسود بن يعفر (المفضليات ــ تحقيق شاكر وهارون ٢٦ : ٦٦ ــ ٨١ ، ٤٤ : ٢٢ ــ ٢٨) . وجاء ذكرها عرضا فى مثل شعر المرقش الأكبر والأسود بن يعفر حين شبها بها رضاب صاحبتيهما (المفضليات ٥٥ : ٨ ــ ١١ ، ١٢٥ : ٦ ــ ٩) ، وفى مثل شعر ربيعة بن مقروم فى الفخر بشربها (المفضليات ١١٣ : ١١ ــ ١٣) ، وشعر عوف بن عطية حين شبه نفسه وهو واقف على أطلال صاحبته بالثمل (المفضليات ١٢٤ : ٤ ــ ٦) .

أن الشاعر لم يتفرغ فى هذه القصائد للغزل أو للخمر . فثلاث من هذه القصائد الست فى الهجاء . والهجاء يختلف عن المدح . فالمادح يقبل على ممدوحه منشرح الصدر . ويجد فى نفسه خفة تساعده على أن يسترسل فى تصوير ذكريات الصبا وعلى أن يعنى بهذا التصوير . أما الذى يأخذ فى الهجاء فهو محنق مغيظ ضيق الصدر ، لا يكاد يتناول من الغزل واللهو إلا القدر الذى تلزمه به تقاليد الشعر فى ذلك الوقت . فالشاعر قد وجد هذه البحور الطوال فى نفسه حين أنشأ قصائده لأنه كان مشغولا بالهجاء ، ولأنه فكر فيه قبل أن يفكر فى أى شىء آخر . ونظرة سريعة فى هذه القصائد ، ترينا أن الشاعر لم يتمكث فيها عند الغزل أو الخمر ، ولكنه قدم بها للقصائد ، واتخذها وسيلة لما كان بسبيله من مهاجمة الخصم .

وقد جاء بعد الأعشى شعراء تأثروا بشعره فى الخمر . نخص منهم بالذكر شاعرين تنبه نقاد العرب القدماء إلى ما ترك فيهما من أثر ، وهما الأخطل وأبو نواس .

أما الأخطل فهو لم يتأثر بالأعشى فى الخمر وحدها ، ولكنه تأثر به فى غيرها من فنون الشعر . وهو من ناحية أخرى لم يتأثر بالأعشى وحده ولكنه تأثر بالجاهليين على وجه العموم ، فاصطنع الجزالة والرصانة فى الألفاظ وفى الأساليب وفى البحور جميعا . فكل خمريات الأخطل قد أنشئت على بحور طوال : ثلاث من بحر الطويل ، وسبع من بحر الكامل . وأربع من بحر البسيط ، واثنتان من بحر الوافر . وتأثره بأسلوب الصناعة الشعرية عند الجاهليين واضح جدًا فى الناقة . فقد شبهها بثور الوحش وبحمار الوحش : واسترسل فى تصوير الثور أو الحمار على طريقة الجاهليين

فى أحد عشر موضعا من ديوانه [1] . ولم يخل شعره بعد هذا من معانى الجاهليين . فقد أخذ مثلا عن امرىء القيس قوله فى وصف شارب الخمر حين يتلعثم فى الكلام :

وكأن شاربَها أصاب لسانَه مُومٌ يخالط جسمَه بسَقام [2]

قال: وكأن شاربها أصاب لسانه من داء خَيْبر أو تِهامةَ مُوم

أما تأثره بالأعشى فنرى له صورا كثيرة . فهو فى بعض الأحيان ينشئ القصائد مقلدا بعض قصائد الأعشى ، كالذى نرى فى قصيدته :

بانت سعادُ فقلبى اليوم مَتْبول ...

بانت سعادُ فنِى العينين مُلْمُول من حبها وصحيحُ الجسم مخبول [3]

قلد فيها قصيدة الأعشى :

وَدِّعْ هُرَيرةَ إن الركب مرتحل وهل تُطيق وَداعاً أيها الرجل

واستعار الألفاظ نفسها فى بعض الأحيان ، كقوله :

غراءُ فرعاءُ مصقولٌ عَوَارضُها كأنها أحورُ العينين مكحول [4]

فالمصراع الأول من قول الأعشى :

غراءُ فرعاءُ مصقول عوارضها تمشى الهُوَيْنَى كما يمشى الوَجِى الوَحِل [5]

وبدأ قصيدة أخرى بقوله :

ألم تَعْرِض فتسألَ آلَ لهوٍ وأرْوَى والمُدِلَّةَ والرَّبابا

قلد فيها قصيدة الأعشى :

عزفتَ اليومَ من تَيَّا مُقَاما بِجوٍّ أو عرفتَ لها خِيَاما

(1) يراجع فى تشبيه الناقة بثور الوحش ص ٨٦ ، ١١٣ ، ١٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٦٠ من الديوان .
ويراجع فى تشبيه الناقة بحمار الوحش ص ١٤ ، ٦٠ ، ١٤٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٢ من الديوان .

(2) الموم مرض الجدرى .

(3) الملمول (كعصفور) المرود ، والحديدة التى يكتب بها فى ألواح الدفتر .

(4) غراء بيضاء فرعاء طويلة الشعر غزيرته . العارضة صفحة الخد . والعوارض كذلك ما يبدو من الأسنان عند الابتسام .

(5) وجى (كعلم) حفيت قدمه أو حافره .

وتأثر فيها ببعض أبيات الأعشى فى هذه القصيدة ، كقوله :

وقد قالت مُدِلَّةٌ إذ قَلَتْنى ... أراك كبرتَ والصُّدغين شابا

فإن يك رَيِّقى قد بَانَ منى ... فقد أَرْوِى به الرَّسَلَ اللُّهابا (١)

أخذه من قول الأعشى :

وقد قالت قُتَيْلَةُ إذ رأتنى ... وقد لا تَعدَم الحسناءُ ذَامَا

أراك كبرتَ واستحدثتَ خُلْقاً ... وودعتَ الكواعبَ والمُدَامَا

فإن تك لِمّتى يا قَتْلُ أضحت ... كأن على مفارقها ثَغَاما (٢)

وأقصر باطلى وصحوتُ حتّى ... كأن لم أجْرِ فى دَدَنٍ غلاما (٣)

فإن دوائر الأيام يُفنى ... تتابعُ وقعها الذَّكَرَ الحساما (٤)

وتأثر الأخطل بالأعشى فى بعض أساليب الصناعة الشعرية ، مثل كلفه باستعمال « الاستدارة » وافتنانه فيها فى مجال المفاضلة بين شبيهين .

فالأعشى يقول (٥) :

ما روضةٌ من رياض الحَزْنِ مُعشِبةٌ ... خضراءُ جاد عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ (٦)

يضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مؤزَّرٌ بعميم النبت مُكتهِلُ (٧)

---

(١) الريق الرمح الذى يشرعه الفارس فيبدو طرفه بين اذنى الفرس . الرسل الجماعة والقطيع من كل شىء . اللهاب العطاش .

(٢) الثغام نبت له نور ابيض يشبه به الشيب .

(٣) الددن اللهو .

(٤) الذكر السيف الصارم .

(٥) وراجع كذلك ديوان قيس بن الخطيم (ص ٨ طبع Geyer ، ص ٣٩) فى تشبيه صاحبته بالظبية .

(٦) الحزن المرتفع من الارض .

(٧) كوكب الماء بريقه . شرق زاه . مؤزر مكسو بالنبات ازارا . مكتهل قد بلغ وتم .

يوما بأطيب منها نَشْرَ رائحةٍ ... ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُلُ(١)

أخذه الأخطل فقال :

ما روضةٌ خضراءُ أزهر نَوْرُها ... بالقَهْر بين شقائق ورمال(٢)

بَهِج الربيعُ لها فجاد نباتها ... وغمت بأسحمَ وابل هطال(٣)

حتى إذا التفَّ النباتُ كأنه ... لونُ الزخارف زُيِّنت بصِقال

نفت الصَّبا عنها الجَهَامَ وأشرقت ... للشمس غِبٌّ دُجُنَّة وطِلال(٤)

يوما بأملحَ منك بهجةَ منطقٍ ... بين العَشِيِّ وساعةِ الآصال

والأعشى يقول — وأمثاله كثير فى شعره(٥) :

وما مُجَاوِرُ هيت إن عرضتَ له ... قد كاد يسمو إلى الجُرْفَين واطّلعا(٦)

يجيش طُوفَانُه إذ عَبَّ محتفلا ... يكاد يعلو رُبَى الجُرْفَيْن مُطَّلِعا

طابت له الريحُ فامتدت غواربُه ... ترى حوالبَه من موجه تَرَعَا

يومًا بأجودَ منه حين تسأله ... إذ ضَنَّ ذو المال بالإعطاء أو خدَعَا

والأخطل يقول — وله مثلان آخران فى شعره (ص٩٦ ، ٢١٤) — فى رائيته المشهورة (خف القطين) :

وما الفرات إذا جاشت حَوَالبُه ... فى حافتَيْه وفى أوساطه العُشَرُ(٧)

---

(١) النشر انتشار الرائحة . الاصيل وقت الغروب .

(٢) الشقيقة الأرض الصلبه وسط رياض الماء تنبت الشجر والعشب .

(٣) الأسحم السحاب المظلم لغزارة مائه .

(٤) الجهام السحاب لا ماء فيه . الدجنة الغيم المظلم الكثيف لا مطر فيه .

(٥) وراجع كذلك النابغة (ص ١٥٤ مختار الشعر الجاهلى شرح السقا) .

(٦) هيت بلد فى العراق . ومجاور هيت هو نهر دجلة .

(٧) حواليه روافده . العشر شجر ضخام عالية .

وذعذَعَتْه رياحُ الصيف واضطربَتْ   فوق الجاجِىء من آذِيِّه غُدُر (١)

مُسْحَنْفِرٌ من جبال الروم يستره   منها أكافيفُ فيها دونَه زَوَرُ (٢)

يوماً بأجودَ منه حين تَسأَلَهُ   ولا بأَجْهَرَ منه حين يُجْتَهَرُ (٣)

ثم إن الأخطل قد تأثر فى وصف الخمر بالأعشى ، فنقل كثيرا من صوره ومعانيه . ولكنه اصطنع الجزالة فى الألفاظ والأوزان ، وحرص عليها أكثر من حرص الأعشى . وهذا الحرص على البداوة والجزالة لم يتح لشعر الخمر أن يتقدم كثيرا على يد الأخطل . فالبداوة التى نجدها فى خمريات الأعشى حين يشبه صحبه وقد تمددوا من شدة السكر بحبال ممددة نُصبت لصيد القرود إذ يقول :

فترى الشَّرْبَ نشاوَى بُطِحوا   مثل ما مُدَّت نُصاحاتُ الرُّبَح (٤)

وحين يشبه الخمر وقد تناقصت وضرب لونها للاحمرار لطول ما عتقت فى الدَّن بحوصلة فرخ النعام إذ يقول :

كَحَوْصلة الرَّأْلْ فى دَنِّها   إذ صُوِّبَتْ بعد إقعادها (٥)

وحين يتمدح بسخاء رفاقه فيقول إنهم لا يصرون إبلهم بخلا بها :

لا يَشِحُّون على المال وما   عُوِّدوا فى الحى تَصْرارَ اللُّقَحْ

---

(١) ذعذعته حركته وهيجته . جؤجؤ السفينة صدرها . الآذى الموج .

(٢) مسحنفر سريع الجريان . الاكافيف من جبال الروم منعرجات الطريق فى مجرى النهر . زور انحراف .

(٣) الجهارة فخامة المنظر . اجتهره بدا فى نظره عظيما رائعا .

(٤) النصاحات حبال يجعل لها حلق وتنصب لصيد القرود . الربح القرد .

(٥) صوبت صبت . اقعادها اقامتها فى الدن .

وحين يصور نساء الجان فى هذه الصورة التى كانت تعجب البدوى فى المرأة :

قد تَفَتَّقْنَ من الغُسْنِ إذا   قام ذو الضُّر هُزالا ورَزَحْ (١)

هذه البداوة التى نجدها فى مثل هذه الأبيات من خمريات الأعشى قد تبدو فى الأخطل بصورة أوضح مما تبدو فى الأعشى . فالواقع أن هذا الحرص على تقليد القدماء قد انتهى بالأخطل إلى أن صار جاهليا أكثر من الجاهليين أنفسهم . فهو يشبه هدير الخمر فى الدنان بهدير الجمال حين يقول :

عزَّ الشرابُ فأقبلَتْ مشروبة   هَدَرَ الدِّنانُ بها هديرَ الأفْحُلِ (٢)

ويشبه القلال الصغار بجانب الدن الكبير بصغار الإبل حول الفحل ، تتمسح به وتشمه بين رجليه (وهو خطأ، فإنما تتمسح القُلُص بالناقة لا بالفحل) فيقول :

وترى القِلَالِ بجانبيه كأنها   قُلُصٌ يَسُفْن فُروجَ قَرْم مُرسَل

ويشبه نفسه حين يشرب الخمر صرفا ، فهى قوية شديدة ، بناقة أخذوا ولدها ثم لبَّسوا لها جلد حوار لتعطف عليه فيدر لبنها ؛ فهى إذا نظرته من بعيد حسبته ابنها ، فإذا دنت منه فشمته أنكرته :

كأنِّى كَرَرْتُ الكأسَ ساعَة كرِّها   على ناشص شمَّتْ حُوارا مُلبَّسا

ثم انظر بعد ذلك إلى هذا الوقار وهذه الضخامة التى يصطنعها الأخطل ،

---

(١) الغسن الشحم . ذو الضر الذى أضرت به الشدة ، ورزح أى سقط من الهزال .

(٢) فى التعبير قلب ، يريد أنها هدرت فى الدنان ، وهو معروف فى أساليب العرب.

حتى فى شعر الخمر الذى هو أليق الفنون بالخفة والخلاعة ، فيقول :

عَزَّ الشرابُ فأقبلَتْ مشروبة   هَدَرَ الدِّنانُ بها هدير الأفْحُل

وتَغَيَّظَتْ أيامهَـــا فى شارفٍ   نُقِلَتْ قرائنُه ولما يُنقَل (١)

وكأن أصواتَ الغُواةِ تعُودُه   أصواتُ نوح أوجلاجلُ عَوْكل (٢)

حتى تَصبَّب ماوهُ من جلْفٍ   ضخم المقدَّم سَحْبَلٍ الأسفل (٣)

أما أبو نواس فقد بلغ بشعر الخمر إلى حد النضج . ووصل به إلى أقصى ما ينتظر له من كمال الصناعة . أخذ معانى الأعشى والأخطل فحورها وتلطف فى أدائها وفلسف أخيلتها . فقد كان القدماء يصورون قدم الخمر وعتقها فى سذاجة ، فيقولون إنها حُبست فى الدن سنين عددا فآلت إلى النصف ، أو أصبحت فى الدن كحصولة فرخ النعام ، كما يقول الأعشى :

كحوصلة الرَّألِ فى دَنِّها   إذا صُوِّبت بعدَ إقعادِها

أو يقول :

تَخَيَّرَها أخو عاناتَ شَهْرًا   ورجّى أَوْلَهَا عامًا فعاما (٤)

يؤمل أن تكون له ثراءً   فأغلق دونها وعلا سِوَاما

---

(١) تغيظت من الغيظ ، لانها تهدر فى الدن . الشارف المسنة من الابل . شبه بها الدن القديم .

(٢) الغواة جمع غاو ، وهم شاربو الخمر . تعوده اى يطوفون حوله . الجلجل الجرس الصغير . عوكل جد قبيلة عرفت بالحمق والغباء . يريد انهم يطوفون به ويرقبون يوم نضجه منذ زمان نوح وعوكل .

(٣) الجلف الظرف والوعاء ، وهو كذلك الدن . السحبل الواسع الضخم .

(٤) عانات بلد فى الشام . أولها ما يئول اليه من ربحها .

وكما يقول علقمة :

عانيةٌ قَرْقَفٌ لم تُطَّلَعْ سنةً يُجِنُّهَا مُدْمَج بالطين مختوم

وكما يقول المرقِّش الأصغر :

ثَوَتْ فى سِبَاءِ الدَّن عشرين حَجَّةً يُطان عليها قَرْمَدٌ وتُرَوَّح (١)

فلما جاء الأخطل زاد فى ذلك بعض المعانى ، ولكنه لم يبعد عن الفطرة والبساطة . فقال :

وتَغَيَّظَتْ أيامَها فى شارف نُقِلَتْ قرائنُه ولما يُنقل

وقال :

كُمِّت ثلاثةَ أحوالٍ بطينتها حتى إذ صَرَّحَتْ من بعد تَهْدار (٢)
آلَتْ إلى النصف من كَلْفَاء أترعها عِلْجٌ ولَثَّمها بالجَفْن والغار (٣)
ليست بسوداء من مَيْثَاء مظلمة ولم تُعذَّب بإدناء من النار (٤)

فسبق أبا نواس إلى هذا المعنى الذى يصور نضج الخمر بغير نار — وهو أجود لها . وقال فى تصوير قدمها ، وهو أجمل معانيه :

لها رداءان : نسْجُ العنكبوت ، وقد حُفَّتْ بآخر من لِيفٍ ومن قار

---

(١) ثوت فى سباء الدن أى مكثت فى أسره . القرمد طين يسد بين راس الدن . تروح تطيب .

(٢) صرحت ذهب زبدها .

(٣) كلفاء حمراء تضرب للسواد ، وهى صفة الخابية . علج أعجمى غير عربى ، وهو الخمار . الجفن والغار شجر .

(٤) الميثاء الأرض السهلة .

والعنكبوت لا ينسج على الدن إلا إذا طال ما يُهمَل فلا تمسه يد .

أما أبو نواس فقد افتن فى تصوير قدم الخمر . وظهر فى تصويره أثر الفلسفة ، والترف الفكرى . فبدل أن يقول الأخطل إنها عتقت حتى آلت إلى النصف ، يقول أبو نواس :

كَرْخِيَّةٌ قد عُتِّقَتْ حِقْبَةً حتى مضى أكثرُ أجزائها (١)

ويقول (وهو مأخوذ من قول الأخطل) :

طَبَخَتْه الشمسُ لما بخل العِلْجُ بنارهْ
فأتى الدهرُ عليه غيرَ شىء فى قَرَارِه

ويقول :

بِنْتُ مَدَى الدهرِ أو أشفَّتْ كبيرةٌ شأنُها كُبَارُ (٢)
تُخُيِّرَتْ والنجومُ وَقْفٌ لم يتمكن بها المَدَارُ
فلم تزل تأكل الليالى جُثْمانَها ما بها انتصار
حتى إذا مات كلُّ ذامٍ وخُلِّص السرُّ والنِّجار (٣)
عادَتْ إلى جوهرٍ لطيف عِيَانُ مَوْجودِهِ ضِمَار (٤)

ويقول ـ وهو من أعجب ما وصف به قدم الخمر :

قد عُتِّقَتْ فى دَنِّها حِقَبا حتى إذا آلت إلى النصف

---

(١) الكرخ محلة ببغداد .
(٢) الكبار (كغراب) الكبير .
(٣) الذام العيب والذم . يقول ذهب أسوأ ما فيها ، وبقى جوهرها النقى .
(٤) العيان المشاهد ، والضمار عكسه .

سلبوا قِناع الطين عن رَمَق حَيٍّ الحياة مُشارفِ الحَتْف

ويقول :

قهوةٌ عُمِّى عنهـــا ناظرا ريبِ المَنونِ
عُتِّقت فى الدَّن حتّى هى فى رقـــة دينى

ويقول :

فاسقنى الخمـــر التى اختمرَتْ بخُمار الشَّيب فى الرَّحِم
ثُمّتَ أنصـــات الزمانُ لها بعد ما جازت مَدَى الهَرَم[1]
فهى لليـــوم الذى بُزلَتْ وهى تِرْب الدهر فى القِدَم
عتقت حتّى لو اتصـــلت بلســـانٍ ناطـــق وفم
لا حتَبَتْ فى القـــوم ماثلةً ثم قَصَّتْ قصةَ الأُمم[2]

إلى جانب هذا التفنن فى عرض معانى القدماء ، وفى مزج الفلسفة بالأدب ، هذا المزج اللطيف الذى لم يقصد به الشاعر إلى أكثر من التظرف ، فلم يحوج السامع إلى جهد التفكير . إلى جانب هذا ، نجد أن أبا نواس قد تخلص من البداوة والجزالة التى كان الأخطل حريصا على استبقائهما فى شعره . وحتّى فى البحور الطوال التى أنشأ عليها أبو نواس بعض شعره فى الخمر لا يكاد يشعر القارئ بالوقار والجزالة التى كان يحسها فى خمريات الأخطل . ذلك لأن أبا نواس قد خلع على شعر الخمر أسلوبا ماجنا عابثا بكل معانى المجون والعبث ، ما جنا فى بحوره ، وفى ألفاظه السهلة القريبة

---

(١) انصات اجاب واقبل . ويقال انصات الرجل اذا استوت قامته بعد انحناء ، كانه اقتبل شبابه .

(٢) احتبى الرجل شد ظهره الى ركبتيه بحزام او نحوه ليستند ، اذ لم يكن للعرب فى بواديها جدران تستند اليها .

التي حكى بها كلام الشَّرْب والخمَّار والساقى ، وفى معانيه التي تشيع فيها الفكاهة (المبتذلة ، بل الساقطة فى كثير من الأحيان) ، والاستهتار بكل المبادئ الدينية والخلقية .

ومع قرب الأعشى من الأخطل ، وبعد ما بينه وبين أبى نواس ، نجد أن أبا نواس أشبه بالأعشى من الأخطل . أشبه به فى شيوع البحور القصيرة ، وفى استعمال الألفاظ السهلة القريبة ، وفى هذا الأسلوب القصصى الذى يصور مجالس الخمر وحديث الشرب وعربدتهم وما يكون بينهم وبين الخمار

ولعل الأمانة تقضى علينا أن لا نهمل الحديث فى هذا الموضع عن شاعر سبق أبا نواس إلى كثير من الأساليب ، وهو الوليد بن يزيد. فقد سبقه إلى اصطناع البحور القصار والألفاظ السهلة القريبة ، كما سبقه إلى المزج بين الفلسفة والشعر . والقدر الذى بقى لنا من شعر الوليد قليل ، وهو مقطوعات قلما تتجاوز الواحدة منها خمسة أبيات أو ستة . وهذه قطعة من شعره فى الخمر ، تصور بعض ماسبق إليه من تشبيهات ذاعت على ألسن الشعراء من بعده

اصدَعْ نَجِيَّ الهموم بالطربِ — وأنعَمْ على الدهر بابنة العنبِ
واستقبل الدهر فى غَضَارته — لا تَقْفُ منه آثارَ مُعْتَقِب
مِنْ قهوةٍ زانها تقادمُها — فهى عجوزٌ تعلو على الحِقَب
أشهى إلى الشَّرْب بعد جَلْوتها — من الفتاة الكريمة النسب
فقد تَجَلَّتْ ورق جوهرُها — حتى تَبَدَّتْ فى منظرٍ عجب
فهى بغير المِزاج من شَرَرٍ — وهى لدى المَزْج سائل الذهب
كأنها فى زجاجها قَبَسٌ — تذكو ضياءً فى عين مُرْتَقِب

وقبل أن نفصِّل القول فى خمريات الأعشى نحب أن ننبه إلى المعانى التى تدوولت بين الأعشى والجاهليين والأخطل وأبى نواس :

الأعشى — تَدِبُّ لها فَتْرَةٌ فى العظامِ وتُغشِى الذُّؤابةَ فَوَّارُها (١)

حسان — تدب فى الجسم دبيباً كما دبَّ دَبِيٌّ وسط رَقَاق هَيَامَ

الأخطل — تدب دبيباً فى العظام كأنه دبيب نِمَالٍ فى نَقَىً يتهيَّل

أبونواس — ولها دبيب فى العظام كأنه قَبْضُ النعاسِ وأخذه بالمِفْصل

— فتمشت فى مفاصلهم كتمشى البُرْءِ فى السُّقَم

الأعشى — إذا بُزِلت من دَنِّهَا فاح ريحُها وقدأُخرجت من أسود الجوف أدهما

عدى — كأن ريح المسك فى كأسها إذا مزجناها بماء السماء

الأخطل — كأنما الوِسْكُ نُهْبَى بين أرْحُلنا مما تَضَوَّع من ناجودها الجارى (٢)

— من قهوة نَفَحَتْ كأن سَطِيعَها مِسْكٌ تضوَّع فى غداة شمال

أبونواس — وقهوةٍ كالمسك مَشْمُولة مَنْزِلُها الأَنْبَارُ أوهِيتُ (٣)

الأعشى — فترى إبريقَهم مسترْعِفَا بشَمولٍ صُفِّقَت من ماء شَن (٤)

— وإذا غاضت رفعنا زِقَّنا طُلُقَ الأوداج فيها فانسفَحْ (٥)

الأخطل — سُلافة حَصَلَتْ من شارف خلق كأنما ثار منها أبجَلٌ نَعِرُ

---

(١) الذؤابة الرأس .

(٢) الناجود اناء الخمر .

(٣) الانبار وهيت بلدان فى العراق .

(٤) رعف (كنصر وقطع وكرم) خرج من انفه الدم . الشن القربة الخلق ، فذلك ابرد لمائها .

(٥) الودج (بفتحتين) والوداج (ككتاب) عرق فى العنق .

ـ لما أتوها بمصباح ومبزلهم سارت إليهم سُئُورَ الأبجل الضّاري (١)

تَدْمَى إذا طعنوا فيها بجائفة

فوق الزُّجاج ، عتيقٌ ، غيرُ مُسْطَارِ (٢)

أبو نواس ـ أنفَـــذوهن بطعن مثـــلِ أفواه المَـــزاد

الأعشى ـ تَخَيَّرَهَا أخوعانات شَهرًا ورجَّى أوْلَهَا عامًا فعاما (٣)

يؤمِّل أن تكون له ثراء فأغلق دونها وعلا سِوَاما

فأعطينا الوفاء بها وكنا نُهين لمثلِها فينا السَّوَاما (٤)

الأخطل ـ تواعدها التِّجارُ إلى إنَاهَا فأطْلَعَهَا على العرب التِّجَارُ

فأعطينا الغلاء بها وكانت تَأَبَّى أو يكونَ لها يَسَارُ

ـ إذا أقول تراضينا على ثمن ضَنَّتْ بها نفسُ خَبٍّ البيع مكار

كأنما العِلْجُ إذ أوجَبْتُ صَفْقَتَها

خَلِيعُ خَصْلٍ نَكِيبٌ بين أقمار (٥)

أبو نواس ـ تحكَّمَ عِلْجُها إذ قلت سُمْنِي

على غير البَخِيلِ ولا الضَّنِينِ

الأعشى ـ كأن شُعَاع قَرْنِ الشمس فيها

إذا ما فَتَّ عن فيها الخِتَامَا

الأخطل ـ فجاء بها كأنما في إنائه بها الكوكبُ الدرِّيُّ تصفو وتُزْبِد

أبو نواس ـ قال ابغِنِي المصباحَ قلتُ له اتَّئِدْ

حسبي وحسبُك ضوؤها مصباحا

---

(١) الابجل عرق فى الفرس والبعير .

(٢) الجائفة الطعنة التى تبلغ الجوف . المسطار الخمرة الحديثـــة ، وهى كلمـــة رومية الاصل كما جاء فى المعرب للجواليقى .

(٣) عانات بلد بالشام . أولها ما يئول اليه من ربحها .

(٤) السوام الابل الراعية . يهيننا بأن يبيعها فى الخمر .

(٥) صفقتها بيعها . الخليع المغلوب فى القمار . الخصل الخطر الذى يتقامر عليه . النكيب المنكوب . الاقمار المتقامرون ، مفردها قمير .

فسكبت منها فى الزجاجة شَرْبةً
كانت لنـــا حتى الصباحِ صباحا

– كأنها الشمسُ إذا صُفِّقَتْ
مسكنُها الكبشُ أو الحوت

– إذا عَبَّ فيها شاربُ الخمرِ خلتَه
يقبِّلُ فى داجٍ من الليل كوكبا

الأعشى – ألمَّ خيالٌ من قُتيلة بعدما وَهِيَ حبلُها من حبلنا فتَصرَّما[1]

فبت كأنى شاربٌ بعد هَجْعَةٍ
سخاميَّةً حمراءَ تُحسَب عَنْدَما[2]

الأخطل – خف القَطِينُ فراحوا منكَ أو بكروا
وأزعَجتْهم نَوىً فى صَرْفها غِيَرُ[3]

كأننى شاربٌ يوم استُبِدَّ بهم
من قَرْقَفٍ ضَمِنَتْها حِمْصُ أو جَدَرُ[4]

– صَدَعَ الخليطُ فشاقنى أجْوارى
ونأْوك بعد تقاربٍ ومَزَار[5]

وكأنما أنا شاربٌ جادَتْ له
بُصرَى بصافية الأديم عُقار[6]

– كأنى غداة انصَعْنَ للبَيْن مُسْلَمٌ
بضربة عُنْقٍ أو غَوِىٌّ مَعذَّل[7]

---

(١) تصرم تقطع . (٢) شعر سخام لين ناعم . خمر سخامية أى سلسة .
(٣) القطين القاطنون الذين كانوا مجاورين له ثم خفوا أى رحلـــوا . صرف الدهر نوائبه . وغيره أحداثه المغيرة .
(٤) خمر قرقف قوية شديدة . حمص وجدر بلدان بالشام .
(٥) أجوار جمع جار . الخليط الجيران المخالطون .
(٦) بصرى بلد من أعمال دمشق . (٧) معذل يعذله الناس ويلومونه .

صريع مُدام يرفع الشَّرْب رأسَه   ليحيي وقد ماتت عظامٌ ومِفْصل

والأخطل قد اعتمد فى هذه القصيدة الأخيرة (عفا واسط من آل رضوى فنبتل) على كثير من معانى الأعشى .

الأعشى – تحسِب الزِّقَّ لديها مُسنَدا   حبشيا نام عمــدًا فانبطح

الأخطل – أناخوا فجروا شاصياتٍ كأنها
رجال من السودان لم يتسربلوا (١)

الأعشى – لا يستفيقون منها – وهى راهنةٌ
إلا بِهَاتِ ، وإن عَلُّوا ، وإن نَهِلُوا (٢)

الأخطل – فما لبَّثتْنَا نشوةٌ لحِقَتْ بنا
توابعُهــا ممــا نُعَل ونُنْهَل

الأعشى – من خمر عانةَ قد أتى لِختَامها
عامٌ تَسُلُّ غُمــامة المزكوم (٣)

– من اللاتى حُملن على الرَّوايا   كريح المِسْك تستلُّ الزكاما (٤)

الأخطل – وإذا تَعاورَت الأكُفُّ زجاجها
نَفحَتْ فشم رياحَها المزكومُ

الأعشى – تريك القذى من دونها وهى دونه
إذا ذاقها من ذاقها يَتَمَطَّق (٥)

الأخطل – ولقد تُبار كرنى على لذاتها   صهباءُ عاليةُ القَذَى خُرْطومُ

---

(١) شاصيات أى قرب شاصيات ارتفعت قوائمها لامتلائها ، فعلها شصا (كنصر) .
(٢) النهل الشربة الاولى ، والعلل الشربة الثانية . أى انهم كلما ســقاهم الساقى صاحوا به (هات !) .
(٣) عانة بلد فى العراق على الفرات . الغمام (بالضم) الزكام .
(٤) الراوية الدابة التى يستقى عليها .
(٥) يقول ان القذى اذا سقط فيها ظهر واضحا كأنه فى سطحها . يتمطق يتلمظ .

الأعشى — وكأسٍ شربتُ على لذة　　وأخرى تداويتُ منها بها

أبو نواس — دع عنك لومى فإن اللوم إغراءُ　　وداونى بالتى كانت هى الداءُ

الأعشى — فقام فصب لنا قهوةً　　تسكننا بعد إرعادها

أبو نواس — إذا ارتعشت يمناه بالكأس رقّصَتْ

به ساعة حتى يسكّنها الشَّرْبُ

الأعشى — وكأس كعين الديك باكرتُ حدّها

بفتيانِ صِدْقٍ والنواقيس تُضرَبُ (١)

عدىّ — قدمته على عُقار كعين الـ　　ـديك صفّى سُلافَها الراوُوق (٢)

أبو نواس — ثم شُجّت فأدارت　　فوقها مثلَ العيون (٣)

حدقًا يرنو إلينا　　لم يُحَجَّرْ بجفون

الأعشى — إذا انكبّ أزهرُ بين السُّقاة　　تراموا به غَرَبًا أو نُضارًا (٤)

أبو نواس — فاستوسق الشَّرْبُ للندام وأجر

اها علينا اللُّجَيْنُ والغَرَبُ

الأعشى — فقمنا ولما يصِحْ ديكُنا　　إلى جَوْنَةٍ عند حَدّادها (٦)

لبيد — باكَرْتُ حاجَتَها الدَّجاجَ بُسْحَرَةٍ

لأُعَلَّ منها حين هب نيامُها (٧)

أبو نواس — اسقنى والليلُ داجٍ　　قبل أصوات الدَّجاجِ

---

(١) حد الخمر سورتها وحدتها .

(٢) السلاف اول ما يسيل من الخمر وهو أجودها . والراووق الاناء الذى تروق فيه الخمر . شبهت بعين الديك فى صفائها .

(٣) شج الخمر كسر حدتها بالماء .

(٤) أزهر أبيض وهو ابريق الخمر . تراموا به تداولوه . الغرب الفضة والنضار الذهب .

(٥) الشرب جماعة الشاربين . استوسقوا اجتمعوا .

(٦) الدجاج أى عند صياح الدجاج ، نصبها على معنى الظرفية .

(٧) جونة سوداء ، يقصد الخابية لانها مطلية بالقار . حدادها صاحبها الذى يحرسها ويذود الناس عنها .

ـ ذكر الصَّبُوحَ بسُحْرَةٍ فارتاحا   وأملَّه ديكُ الصـــباح صياحا

ـ ومُدامة سجـــد الملوكُ لها   باكرتُها والديك قد صدحا

الأعشى ـ كُمَيْتٌ عليها حُمرة فوق كُمْتَة   يكاد يفرّى المَسْكَ منها حَمَاتُها (١)

أبو نواس ـ تلتهب الكف من تَلَهُّبها   وتَحْسُرُ العينُ أن تَقصَّاها (٢)

كأن نارا بهـــا مُحَرَّشَةً   نَهابُها تارة ونَغْشَـــاها (٣)

الأعشى ـ ولقد شربتُ ثمانيا وثمانيا   وثمانِ عَشْرةَ واثنتين وأربعا

أبو نواس ـ أقمنا بها يومًا ويوما وثالثا   ويوما له يومُ الترحُّل خامس

وأخيرا ، نعرض مثلا للتشابه الذى أشرنا إليه ، بين أبي نواس والأعشى ، فى الأسلوب القصصى :

الأعشى ـ فقمنا ولما يصحْ ديكُنا   إلى جَوْنةٍ عند حَدَّادها (٤)

تنخَّلها من بِكار القِطاف   أُزَيْرِقُ آمِنُ إكسادها (٥)

فقلنـــا له هـــذه هاتِها   بأدماء فى حَبْل مقتـــادها (٦)

فقـــال تزيدوننى تسعةً   وليست بعَـــدْلٍ لأندادها

فقلت لِمِنْصَفنا أعطـــه   فلما رأى حَضْرَ أشهادها (٧)

أضـــاء مِظَلّتـــه بالسِّرا   جِ والليلُ غامِرُ جُدَّادها (٨)

دراهمُنـــا كلُّهـــا جَيِّدٌ   فلا تحبسَنَّا بتنقـــادها (٩)

---

(١) الكمتة الحمرة تضرب للسواد ،

(٢) حسر البصر (كنصر) كل

(٣) حرش بين القوم أغرى بعضهم ببعض ، وكذلك بين الكلاب .

(٤) جونة سوداء ، يقصد خابية الخمر لأنها مطلية بالقار . حدادها صاحبها الذى يحد الناس أى يذودهم عنها باخفائها فلا يبرزها الا للقادر على ثمنها .

(٥) أزيرق تصغير أزرق . والعرب تطلقه على غير العرب لزرقة عيونهم ، آمن كساد خمره لجودتها .

(٦) أدماء ناقة أدماء ، فى حبل مقتادها أى كاملة . كما تقـــول : دفعت اليه الشيء برمته .

(٧) المنصف الخادم .

(٨) مظلته خباءه . الجداد الهدب الذى فى طرف النسيج .

(٩) نقد الدراهم ميز جيدها من رديئها .

فقـــبام فصب لنا قهوة   تسكننا بعـــد إرعادها

كُمَيْتًا تَكَشَّفُ عن حُمرةٍ   إذا صَرَّحَتْ بعد إزبادها (١)

كحوصلة الرَّأل في دَنِّهـــا   إذا صُوِّبَتْ بعد إقعادها (٢)

فجال علينـــا بإبريقه   مخضَّب كفٍّ بفِرصادها (٣)

فباتت رِكابٌ بأكوارها   لدينا وخيلٌ بألبادها (٤)

لقومٍ فكانوا هم المنفِدين   شرابَهُمُ قبـــل إنفادها (٥)

فرُحنـــا تنعِّمُنا نشوةٌ   تجور بنا بعد إقصادها (٦)

أبو نواس :

وأشمَطَ ربِّ حانوتٍ تراه   لنفخ الزِّق مسودَّ السِّبال (٧)

دعوتُ وقد تَخَوَّنَهُ نُعاسٌ   فوسَّده براحتـــه الشِّمال

فقام لدعوتي فَزِعًا مَروعًا   وأسرع نحو إشعال الذُّبال

وأفرَخَ رَوْعُه وأفاد بِشْرا   وهَرْهَرَ ضاحكا جذلانَ بال

فلما بيَّنَتْنِي النـــار حيَّى   تحية وامِقٍ لَطِفِ السؤال

عددتُ بكفه ألفًا لشهر   بلا شرط المُقِيلِ ولا المُقَال (٨)

---

(١) صرحت ذهب زبدها . اذا مزجت بالماء ذهب ما يخـالطها من سـواد وصفا لونها الاحمر .

(٢) الرال ولد النعام . اى أنها تناقصت حين متقت فصارت كالحوصلة فى قعر الدن . صوبت اميلت .

(٣) الفرصاد صبغ احمر ، وهو ما يسمى فى مصر التوت .

(٤) الاكوار جمع كور وهو رحل الناقة . والالباد جمع لبـد (بكسر فسكون) وهو الصوف المتلبد الذى يجعل تحت السرج ليقى ظهر الفرس .

(٥) يقول انهم أنفدوا خمر الخمار قبل أن تنفد دراهمهم .

(٦) الجور الميل عن القصد .

(٧) ألسبال جمع سبلة (بفتحتين) وهو ما اسبل من شعر الشاربين او اللحية .

(٨) اقال فلان البيع فسخه . اى ان فى شرطه أن لا يسترد من الالف شيئا ان بدا له من بعد أن يقصر اقامته .

بعد هذه المقارنات التى كشفت عن مكان الأعشى فى شعر الخمر ، بين السابقين والمعاصرين واللاحقين ، نستطيع أن ننظر فى شعره لنرى كيف صور لنا نفسه ، وكيف صور البيئات التى كانت تشرب بها الخمر فى ذلك الوقت .

ورد فى شعر الأعشى ذكر أماكن وبيئات كثيرة ، نستطيع أن نخلص منها إلى أن الجهات التى كان يرتادها لشرب الخمر لا تخرج عن الجزء الأسفل لحوض دجلة والفرات . فهو يقول :

تَخَيَّرَها أخو (عانات) شهرا ورجّى أَوْلَهَا عاما فعـــاما(١)

و (عانة) بلد بين الرّقة وهيت .

ويقول :

لها حارسٌ ما يبرح الدهرَ بيتها إذا ذُبحت صلّى عليها وزَمْزَما(٢)

(ببابلَ) لم تُعصَر فجاءت سُلافةً تخالط قِنْدِيدًا ومِسْكا مختّما(٣)

ويقول :

كدم الذبيح غريبـــة ممـــا يعتّق أهـــلُ (بابل)

ويقول :

وسبيئةٍ ممـــا تعتِّقُ (بابلٌ) كدم الذبيح سلبتُها جِرْيالَهَا(٤)

و (بابل) اسم ناحية منها الكوفة والحِلّة . كانت مشهورة بالخمر .

ويقول :

من زِقَاق التَّجْر فى باطِيَةٍ جَوْنَةٍ حاريَّةٍ ذاتِ رَوَحْ(٥)

(١) اولها ربحها .

(٢) ذبحت اى ثقب اناؤها فسالت . الزمزمة صوت يديره العلوج فى خياشيمهم وحلوقهم لا يستعملون فيه شفة ولا لسانا .

(٣) السلافة ما سال من الخمر دون عصر . القند والقنديد العسل ، وهو كذلك العنبر والكافور .

(٤) سبأ الخمر إشتراها ، يقصد إنه شربها بماله ، لامتطفلا على الشاربين . الجريال صبغ أحمر ، يقول أن حمرة الخمر انتقلت الى وجهه .

(٥) الزق قربة صغيرة يحمل فيها الخمر . يقول ان التجار حملوها من مكان بعيد فى الزقاق . الباطية اناء واسع الاعلى ضيق الاسفل يغترف منه الشاربون . الروح السعة .

و (الحِيرة) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف .

ويقول :

فقلت للشَّرْب فى (دُرْنَا) وقد ثملوا :
شِيمُوا . وكيف يشيم الشاربُ الثَّمِل ؟ ! (١)

ويقول :

فإن تمنعوا منا (المُشَقَّرَ) و (الصَّفَا)
فإنا وجدنا (الخَطَّ) جمًّا نخيلُها
وإنَّ لنا (دُرْنَا) فكلَّ عشيَّة
يُحَطُّ إلينا خمرُها وخَمِيلُها (٢)

و (درنا) باليمامة . أو هى باب من أبواب فارس دون الحيرة بمراحل .

وقد يوغل الأعشى فى أقصى الشمال والشرق ، فيشربها تركض حوله الجوارى والراقصات من ترك وكابل ، كما يبدو من قوله :

ولقـــد شربتُ الخمرَ تَرْ
كُضُ حولنـــا تركٌ وكابُلْ

وقد يشربها فى موطنه باليمامة ، فى قرية ذات كروم تسمى (أثافت) يروون أن الأعشى كان له بها معصر خمر . وفيها يقول :

أحب (أثَافِتَ) وقت القِطافْ
ووقتَ عُصـــارةِ أعنابِهـــا

وقد يشربها قرب الأديرة . فهو يقول :

وكأسٍ كعين الديك باكرتُ حَدَّها
بفتيان صدق والنواقيص تُضرَب (٣)

أو لعله كان يشربها فى داخل الأديرة . فقد رأينا عديا يشرب فى الدير مع (بنى علقمة) .

---

(١) شام البرق والسحاب تأمله ليقدر موضع سقوطه .
(٢) الخميل ما لان من الطعام .
(٣) كعين الديك فى صفائها . حدها سورتها وحدتها .

وقد يشربها عند خمار يهودى ، كما يبدو من قوله :

وصهباء طاف يهوديُّهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ وأبرزها وعليهـــا خُتُمْ[١]

وشعر الأعشى فى الخمر يصوره متلافا لا يبقّى فيها على شىء . فقد يشرب مع صحبه فى اليوم الواحد ثمانين كأسا :

توفّى ليـــومٍ وفى ليلةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ ثمانين يُحسب إستارُها[٢]

وقد يدفع ناقته فى ثمنها :

- فقلنـــا له هذه هاتهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ بأدماء فى حَبْـــلِ مُقْتادِها

- فأعطينا الوفاء بهـا وكنا ‏ ‏ ‏ ‏ نُهين لمثلها فينـــا السّـــواما

وهو لا يبالى أن يُهلك ماله فى مجالس الخمر وما يصاحبها من نساءٍ وطعام :

إن الأحامِرةَ الثلاثة أهلكت ‏ ‏ ‏ ‏ مالى وكنتُ بهن قِدْمًا مُولعا

الخمرَ واللحمَ السمينَ مع الطِّلَى ‏ ‏ ‏ ‏ بالزعفران ولا أزال مُرَدَّغا[٣]

فهو رجل لا هم له فى الحياة إلا إشباع للذاته من خمر وطعامٍ ونساء ، والخمر أحب الثلاثة إليه ، لا يفارقها ولا تفارقه :

---

(١) لابى نواس شعر فى خمار يهودى يقول فيه :

وفتيان صـــدق قد صرفت مطيهـــم ‏ ‏ ‏ ‏ الى بيت خمـــار نزلنـــا به ظهـــرا

فلما حكى الزنار ان ليس مسلمـــا ‏ ‏ ‏ ‏ ظننا به خيرا ، فصـــــيره شرا

فقلنـــا : على دين المســـيح بن مريم ‏ ‏ ‏ ‏ فأعرض مزورا ، وقال لنـــا كفـــرا

ولكن يهـــودى يحبـــك ظـــاهرا ‏ ‏ ‏ ‏ ويضمر فى المكنون منه لك الغـــدرا

(٢) كل اربعة يقال لهم إستار . والكلمة معرب جهار الفارسـية .

(٣) يشير بالطلا بالزعفران الى النساء لانهن كن يتزين بطلاء وجوههن بالزعفران . مردغا يكثر الناس من لومه وردعه فلا يرتدع .

على كل أحوال الفتى قد شربتُها غنيًّا وصُعلوكًا وما إن أقَاتُها(١)

من أجل ذلك تنوعت مجالس الخمر التى وصفها الأعشى فى شعره .

فهو إن وجد المال شربها فى بيئات يغمرها الترف . وإن أعوزه المال عكف عليها فى الريف أو فى خباءٍ من شَعر .

فى الأولى نرى شعرا يعرض ضروب الترف ، أزهارا ورياحين ومغين ومغنيات ونساءً عاريات الكشوح وقيانا متفضلات وذلك فى مثل قوله :

وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعُنى شاوٍ مِشَلٌّ شَلولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ(٢)

فى فتيةٍ كسيوف الهند قد علموا أن ليس يدفع عن ذى الحيلة الحِيَل

نازعتهم قُضُبَ الرَّيحان متكئًا وقهوةً مُزَّةً راوُوقها خَضِل(٣)

لا يستفيقون منها — وهى راهِنةٌ — إلا بِهَاتِ ، وإن عَلُّوا وإن نَهِلوا(٤)

يسعى بها ذو زجاجاتٍ له نُطَفٌ مقلَّصٌ أسفلَ السِّربال مُعتَمِل(٥)

ومستجيبٌ تخال الصَّنج يسمعه إذا تُرجِّع فيه القَينةُ الفُضُل(٦)

والبيت الثانى من هذه القطعة صورة من تفكير الرجل الذى يصدر فى لهوه عن عقيدة . فهو وصحبه يأخذون بنصيبهم من ملاذ الدنيا ما دامت

---

(١) ما أن أقاتها ليس عنــدى بقدر القــوت . ويروى (أفاتها) أى لا تفوتنى فى كل حال .

(٢) شاويشوى اللحم . مشل كثير الطرد ، من شل أى طرد وساق ، أى أنه يصيد الصيد ثم يشويه . الشلول والشلشل والشول معناها واحد ، وهو الخفيف السريع فى الخدمة .

(٣) الراووق الاناء الذى تروق فيه الخمر ، خضل لا يجف لكثرة استعماله .

(٤) لا يتوقفون عن الشراب الا ريثما يجددون الطلب بقولهم : هات .

(٥) النطفة لؤلؤة يعلقها الساقى فى اذنه . معتمل دائم العمل .

(٦) المستجيب هو العود يجيب الصنج ، الفضل المتبــذلة فى ثوب واحد لا يستر جسمها .

الحيلة لا تنجيهم مما كتب عليهم – بزعمهم – ولا تدفع عنهم ما قدر لهم .

وهو قريب من قول طرفة :

ألا أيُّهذا اللائمى أحضُرَ الوَغَى ... وأن أشهدَ اللذاتِ ، هل أنت مُخْلِدى ؟

فإن كنتَ لا تَسْطِيعُ دفعَ منيَّتى ... فدعنى أُبادرْها بما ملكَتْ يَدِى

وهو كذلك شبيه بقول الأعشى فى موضع آخر :

وكأسٍ شربتُ على لـذةٍ ... وأُخرى تداويتُ منها بها

لكى يعلمَ الناسُ أنى امـرؤ ... أتيتُ المعيشـةَ من بابها

ومن خمريات الأعشى المترفة أيضا قوله :

وشَمولٍ تَحْسِبُ العينُ إذا ... صُفِّقَتْ وردتَها نَوْرَ الذُّبَحْ[1]

مثلُ ذَكْى المسْكِ ذاكٍ ريحها ... صبها الساقى إذا قيل تَوَح[2]

من زقاق التَّجْرِ فى باطية ... جَوْنة حاريَّةٍ ذاتِ رَوَحْ[3]

ذاتِ غَوْرٍ ما تبالى يومَها ... غَرَفَ الإبريقِ منها والقَدَحْ

وإذا ما الراحُ فيها أزبدَتْ ... أفَلَ الإزبادُ فيها وامتَصَحْ[4]

وإذا مَكُّوكُها صادَمَه ... جانباها كَرَّ فيها فسبح[5]

فترامَتْ بزجاجٍ مُعْمَلٍ ... يُخْلِفُ النازحُ منها ما نزح[6]

---

(١) الشمول الخمر التى ضربتها ريح الشمال فبردت . الذبح نبت حلو يؤكل ، زهره أحمر .

(٢) توح فعل امر من توحى اى اسرع وتعجل .

(٣) سبق شرحه فى ص ٣٤ .

(٤) امتصح ذهب وانقطع . اى انها تزبد ثم تصفو .

(٥) المكوك اناء من فضة يشرب فيه . الضمير فى (جانباها) للباطية .

(٦) معمل دائم العمل . اخلف النازح أهوى بيده يغترف من الباطية . ما مصدرية ظرفية .

وإذا غاضت رفعنـــا زِقَّنـــا طُلُقَ الأَوْداج فيهـــا فانسفح

ونُسِيـــيحُ سَـــيَلَانَ صَوْبِهِ وهو تَسْياحٌ من الراح بِسَحْ(١)

تحسِبُ الزِّقَّ لديها مُسْـــتَدا حبشـــيا نام عمدًا فانبطح

ولقـــد أغدو على نَدْمانِهـــا وغدا عندى عليها واصطَبَحْ(٢)

ومغنٍّ كلما قيـــل له أَسمِع الشَّرْبَ فغنى وصـــدح

وثَنَى الكفَّ على ذى عَتَبٍ يَصِل الصوتَ بذى زِيرٍ أَبَحْ(٣)

فى شـــبابٍ كمصابيح الدجى ظاهرُ النعمـــةِ فيهم والفرح

رُجُحُ الأَحـــلام فى مجلسهم كلَّما كلبٌ من النـــاس نبح

لا يَشِحُّون على المـــال وما عُوِّدوا فى الحىِّ تَصْرارَ اللِّقَحْ(٤)

فترى الشَّرْبَ نشـــاوَى كلُّهم مثل ما مُدَّتْ نُصاحاتُ الرُّبَحْ(٥)

بين مغـــلوبٍ تَلِيـــلٍ خـــدُّه وخذولِ الرِّجلِ من غـــير كَسَحْ(٦)

وشَـــغاميمَ جِسَـــامٍ بُدَّنٍ ناعماتٍ من هَوَانٍ لم تُلَحْ(٧)

---

(١) الصوب الانصاب ، مصدر صاب . مسح سائل ، من سح الماء والمطر اى سال .

(٢) الندمان النديم . الاصطباح شرب الخمر صباحا .

(٣) العتب العيدان المعروضة على وجه العود ، تمد منها الاوتار الى طرفه . الزير الدقيق من الاوتار وأحدها صوتا . والأبح الخشن الصوت .

(٤) اللقح جمع لقحة (بكسر اللام) وهى الناقة الحلوب . صر النـاقة شد ضرعها بالصرار حتى لايرضعها ولدها . يقول انهم لايصرونها بخلا بألبانها .

(٥) النصاحات حبال يجعل لها حلق وتنصب فيصاد بها القرود . الربح القرد .

(٦) تليل فعيل بمعنى مفعول من تله أى صرعه . خـــذول الرجل تخذله رجلـــه اذا هم بالشىء .

(٧) شغاميم نساء طوال . لم تلح لم تهزل ولم يتغير لونهـا من الهـموم أو لفـح الشمس والبرد .

كالتماثيـــل عليهـــا حُلَلٌ ما يُوارين بطونَ المُكتَشَح(١)
قد تَفَتَّقْن من الغُسْنِ إذا قام ذو الضُّر هُزالًا ورَزَح(٢)
ذاك دهرٌ لأُناسٍ قد مضوا ولهذا النَّاسِ دهرٌ قد سَنَحْ

هذه القطعة من أدق خمريات الأعشى تصويرا . باطية واسعة لا ينزف خمرها ، على كثرة ما تغترف منها الأباريق والأقداح . لا تكاد تزبد فيها الخمر حتى يغوص زبدها فى جوفها الواسع . فإذا قل ما فيه أفرغوا فيه زقا كبيرًا أسند إلى جانبه كأنه حبشى قد تمدد منبطحا على الأرض . وشباب أسخياء عاكفون على الخمر ، قد امتلأت وجوههم بِشْرا وظهرت عليهم النعمة ، يصيحون بالمغنى أن أطرب الشَّرْب . فيصدح وقد اتصل صوته بأنغام العود ، بين حاد رقيق وعريض أبح . والحانة تموج بنساء جميلات طوال ضخام ناعمات عاريات الكشوح ، كأنهن تماثيل قد ألبست حللا . فإذا انتشى الشَّرْبُ تمددوا صرعى من شدة السكر فى غير نظام ، كأنهم حبال نصبت لصيد القرود . يحاول أحدهم أن يقوم فتخذله ساقه كأن به كَسَحًا .

ومن هذه الخمريات المترفة ما تغمره ألوان الحياة الفارسية. فهذه أبيات تشيع فيها أسماء الورود والرياحين وآلات الطرب الفارسية ، يقول فيها .

أَلَمَّ خيالٌ من (قُتَيْلَةَ) بعد ما وهىَ حبلُها من حبلنا فتَصرَّما
فبِتُّ كأنى شاربٌ بعد هَجْعَةٍ سُخامِيَّةً حمراء تُحسب عَنْدَما(٣)

---

(١) المكتشح موضع الكشح وهو الخصر . يصفهن فى ثياب الرقص التى يلبسنها .

(٢) الغسن الشحم . ذو الضر الذى أضر به الهزال .

(٣) خمر سخامية لينة ، وشعر سخام كذلك . العندم شجر يستخرج منه صبغ أحمر .

إذا بُزلت من دَنّها فاح ريحُهـــا ... وقدأُخرجت منأسود الجوف أدهما(١)

لها حارسٌ ما يَبرحُ الدهرَ بَيْتَها ... إذا ذُبحت صلى عليها وزَمْزَما(٢)

ببابل لم تُعصر فجاءت سُلافةً ... تخالط قِنْديدا ومِسْكا مختّما(٣)

يطوف بها ساق علينـــا متومٌ ... خفيف ذَفيفٌ ما يزال مفدّما(٤)

بكأسٍ وإبريق كأن شرابه ... إذا صُب فى المِصْحاة خالط بَقّما(٥)

لنا جُلّسانٌ عنـــدها وبَنَفْسَج ... وسِيسِنْبَرٌ والمرزَجُوش مُنمنَما(٦)

وآسٌ وخِيرِى ومَرْو وسَوْسنٌ ... إذا كان هِنْزَمْنٌ ورُحْت مخشّما(٦)

وشاهِسْفَرِمْ والياسَمِينُ ونرجسٌ ... يصبِّحنا فى كل دَجْنٍ تغيُّما(٦)

ومُسْتُقُ سِينِينٍ ووَنٌّ وبَرْبَطٌ ... يجاوبه صَنْجٌ إذا ما ترنّما(٧)

وفيتانُ صدقٍ لا ضغائن بينهم ... وقد جعلونى فَيْسَحَاهًا مكرّما(٨)

وهذه قطعة أخرى ترى فيها — إلى جانب الكلمات الفارسية — إشارة إلى دور للبغاء يبدو أنها كانت تقوم قريبا من الحانات . يقول الأعشى :

---

(١) بزل الخمر ثقب اناءها بالمبزل .

(٢) ذبحت ثقب اناؤها فسالت .

(٣) السلافة أول ما يسيل من الخمر قبل العصر . القنديد العسل .

(٤) متوم وضع فى أذنيه تومتين أى لؤلؤتين . ذفيف سريع . مفدم شد على فمه وانفه الفدام وهى خرقة بيضاء .

(٥) المصحاة قدح من فضة . البقم شجر يستخرج من ساقه صبغ احمر .

(٦) نمنمه زخرفه ونقشه . الهنزمن من أعياد النصارى (معرب) . وربما كانت محرفة عن (انجمن) وهى كلمة فارسية معناها اجتماع أو جماعة . مخشم شديد السكر . خشمة الشراب (بالتشديد) تثورت رائحته فى خيشومه فأسكرته . يوم الدجن اليوم الغائم . الجلسان والسيسنبر والمرزجوش والآس والخيرى والشاهسفرم كلها أسماء فارسية لورود ورياحين .

(٧) المستقة والون والبربط والصنج من الآلات الموسيقية الوترية ، وكلها أسماء فارسية .

(٨) فيسحاه لم أعثر لها فى المعاجم على معنى مناسب . يمشى الفيسحى أى يباعد فى خطوه .

وعَلَالٍ وظِلَالٍ بارِدٍ ... وفَلِيجِ المِسْكِ والشَّاهِسْفَرَنْ(١)

وطِلاءٍ خُسرُوَانِىٍّ إذا ... ذاقه الشيخُ تغنَّى وارجَحَنْ(٢)

وطَنابيرَ حِسَانٍ صوتُها ... عند صَنْجٍ كلما مُسَّ أَرَنْ(٣)

وإذا المُسْمِعُ أَفنَى صوتَه ... عزف الصَّنْجُ فنادى صوت وَنّْ

وإذا ما غُضَّ من صوتيهما ... وأطاع اللحنُ غنانا مُغَنّْ

وإذا الدَّنُّ شربنا صفوَه ... أمرُوا عَمْرًا فناجوه بِدَنّْ(٤)

بِتَاليفَ أهانوا مالهم ... لغناءٍ ولِلعبٍ وأَذَنْ(٥)

فترى إبريقهم مُسترعفاً ... بشَمول صُفِّقت من ماء شَنّْ(٦)

غُدْوةً حتى يميلوا أُصُلاً ... مثل ما مِيلَ بأصحاب الوَسَنْ(٧)

ثم راحوا مَغْرِبَ الشمس إلى ... قُطُفِ المشيِ قليلاتِ الحَزَنْ(٨)

---

(١) العلالى جمع علية (بضم العين وتشديد اللام المكسورة) وهى الغرفة العالية يشربون فيها . مسك فليج مفتت .

(٢) الطلاء الخمر . خسروانى نسبة الى خسروشاه . ارجحن مال واهتز .

(٣) الصنج من آلات الطرب الوترية ، وهو غير الصنج العربى . وكذلك ألون .

(٤) الدن وعاء كبير للخمر من الفخار . عمرو اسم الساقى أو صاحب الحان ولابى نواس شعر فى خمار يهودى اسمه عمرو . صفو الشىء خالصه .

(٥) اهانوا مالهم بانفاقه . والاذن السماع ، فعلها اذن (كعلم) .

(٦) رعف الرجل (بصيغة المعلوم والمجهول) سال الدم من انفه . الشمول الخمر الباردة التى ضربتها ريح الشمال . صفق الخمر روقها او مزجها بالماء . الشن القربة الناعمة التى اخلقها الاستعمال ، فماؤها من اجل ذلك أبرد .

(٧) اصل جمع أصيل وهو الغروب .

(٨) قطف (كضرب) قصر خطوه . يشير بهذا البيت الى بيوت الفسق ، يأوون اليها مساء بعد أن قضوا يومهم فى شرب الخمر . وقد وصف الأعشى ما دار بينه وبين احدى البغايا من نقاش ومساومة فى موضع آخر من شعره (القصيدة رقم ٢٢ من البيت ٤ الى ٩) .

ولندع الآن هذه الخمريات المترفة لنعرض لونا آخر من خمرياته أقل ترفا . يصف الخمر فيه تسقى فى خباء ، فيقول :

وقد أقطعُ اليومَ الطويلَ بفتيـــة   مَساميحَ تُسقى والخِبَاءُ مُروَّقُ(١)
ورادعة بالمسك صفراء عندنا   لِجسِّ الندامَى فى يد الدِّرع مَفْتَقُ(٢)
إذا قلتُ غنى الشَّرْبَ قامت بمِزْهَر   يكاد إذا دارت له الكفُّ ينطق
وشاوٍ إذا شئنا كَمِيشٌ بِمِسْعر   وصهباءَ مِزْبادٍ إذا ما تُصفَّقُ(٣)
تريك القذى من دونها وهى دونه   إذا ذاقها من ذاقها يَتَمَطَّقُ(٤)
وظلَّت شَعِيبٌ غَرْبَةُ الماءِ عندنا   وأسحمُ مملوءٌ من الراح مُتْأَقُ(٥)

ومن أحسن ما قاله الأعشى فى تصوير دور الخمر التى كانت تقوم فى الخيام النائية أبياتُه التى ساق فيها قصته مع الخمار ، والتى سبق تقديمها فى المقارنة بين قصص الأعشى وقصص أبى نواس .

صور الأعشى الحانة فى خباء كبير تدلت هُدُبه ، وقد مد الليل من حوله رواقه ، ووقف فيه خمار فارسى أو رومى ، يخفى الخمر الجيد فى إحدى الدنان التى يزخر بها خباؤه ، فلا يبذله إلا بعد مساومة طويلة . يبكر إليه الأعشى مع صاحب كريم فى هذا السكون الذى لم يمزق حُجُبَه صياحُ الديَكة ،

---

(١) مروق عليه الرواق وهو سقفه فى مقدم الخباء .

(٢) ردعه بالشىء لطخه به . الدرع القميص . يصف هذه الجارية فيقول ان فى كم قميصها فتقا يتسع لأيدى الشاربين ولعبثهم . وهذا البيت مما يصور اختلاط الخمر والفسق فى هذه الدور .

(٣) شاو يشوى اللحم . كميش مسرع . المسعر قضيب الحديد الذى تسعر به النار اى تقلب ليزيد وقدها .

(٤) يتمطق يتلمظ ، يخيل الى الناظر أن القذى فوق سطحها حين يكون فى قعرها لشدة صفائها .

(٥) الشعيب المزادة . غربة الماء فياضة بالماء الذى تمزج به الخمر . أسحم أسود ، وهو دن الخمر لانه مطلى بالقار . متاق ممتلىء .

ولم تنغصه عين الرقيب الحسود . فيلحّان فى طلب هذا الدن العتيق الذى يحرص عليه صاحبه أشد الحرص . ويبذلون له ناقة برمتها ، ويأبى الخمار إلا الزيادة ، فيأمران له بما يريد . حتى إذا رأى الخادمَ وقد أخرج المال ، أضاء الخباء بالسراج ، وراح ينقد الدراهم قبل أن يبذل لهم خمره . لكن الوقت طويل على المشتاق . والأعشى لا يطيق صبرا على هذه الخمر الجيدة . فهو يصيح بهذا العلج الشديد الحرص أن أسرع فابذل لنا الدن ، ولا تحبسنا بتنقاد الدراهم فكلها جيد . فيميل الخمار الدن ليملأ الإبريق من خمر معتقة فنيت على الدهر فبدت فى أسفله كحوصلة فرخ النعام . ويجول على الشاربين وقد خضبت الخمر الحمراء كفه . ولا يزال الشَّرْبُ فى سكر حتى ينفد شرابهم . فيقومون إلى خيلهم وركابهم تنعمهم نشوتها .

وأبرز ما فى هذه الأبيات مساومة الأعشى للخمار ، تلك المساومة التى صورها فى موضع آخر من شعره فقال :

تخيَّرها أخو (عاناتَ) شهرًا ... ورجَّى أوْلَها عامًا فعاما
يؤمِّل أن تكون له ثراءً ... فأغلَق دونها وغَلا سِوَاما (١)
فأعطينا الوفاء بها وكنَّا ... نُهين لمثلها فينا السَّوَاما (٢)

وقد تصل هذه المساومة إلى المنازعة والشجار الذى لا يكون إلا من عربيد حين يقول :

إذا سُمتُ بائعَها حقَّه ... عَنُفْتُ وأغضبتُ تُجَّارَها

---

(١) السوام (بالكسر) مصدر ساوم بالسلعة أى غالى بها .

(٢) السوام (بالفتح) الابل السائمة اى الراعية . يهينها فى الخمر اى يبيعها فى ثمنها .

فإذا لم يجد الأعشى من المال ما يفي بهذا الإنفاق الواسع استعاض عن الحانات بالريف يقيم فيه دائبا على الخمر :

فقد أشربُ الراحَ قد تعلميـ ... ـن يومَ المُقامِ ويوم الظَّعَنْ
وأشرب بالرِّيف حتى يُقـا ... لَ قد طال بالرِّيف ما قد دَجَنْ(١)

وقد يستعيض عن الغناء المترف بالمزامير ، فيحمل الساقي إليه الزق وقد اجتمع مع صحبه على ماء غدير قرب الفرات :

وَرَدْتُ عليها الريفَ حتى شربتُها ... بماء الفرات حولنَا قَصَبَاتُها(٢)
على كل أحوال الفتى قد شربتُها ... غنيًّا وصُعلوكًا وما إنْ أقاتُها
أتانا بها الساقي فأسند زِقَّهُ ... إلى نُطفة زَلَّتْ بها رَصَفَاتُها(٣)
وقوفًا فلما حان منا إناخةٌ ... شربنا قُعودًا خلفَنا رُكَباتُها(٤)

وقد وصف الأعشى في هذه القصيدة أثر الخمر في شاربها فقال :

لَعَمْرُكَ إن الراح إنْ كنتَ سائلًا ... لَمختلفٌ غُدِيُّهـا وعَشَاتها
لنا من ضحاها خُبْثُ نفسٍ وكَآبَةٌ ... وذكرى همومٍ ما تَغِبُّ أذَاتُها(٥)
وعند العشَيِّ طِيبُ نفسٍ ولذةٌ ... ومالٌ كثيرٌ غُدْوَةً نَشوَاتُها(٦)

---

(١) الريف كل أرض فيها زرع وخصب . دجن ثبت وأقام .

(٢) القصبات المزامير لأنها تتخذ من قصب مثقب .

(٣) النطفة الماء الصافي ، قل أو كثر . الرصفات الحجارة المتراصفة بعضها الى بعض .

(٤) ناقة ركوبة وركبة سهلة ذللها الركوب .

(٥) الغداة أول النهار . والعشاء آخره . والضحى عند ارتفاع النهار . خبث نفس انقباض . ما تغب ما تفتر ولا تنقطع .

(٦) يقول انهم اذا انتشوا سخوا بالمال .

وقال فى قصيدة أخرى :

وصهباء صِرْفٍ كلَوْن الفُصُو ... صِ باكرتُ فى الصبح سَوَّارَهَا(١)

فطورًا تميــل بنــا مُرَّةً ... وطورًا نعــالج إمْرَارَها(٢)

تكاد تُنشيّ ولما تُذَقْ ... وتُغْشِى المَفَاصِلَ إفْتــارَها

تَدِبُّ لها فَتْرَةٌ فى العظام ... وتُغْشِى الذُّوابةَ فَوَّارَهَــا(٣)

تمززتُهــا فى بنى قَابِيَــا ... وكنتُ على العِلْمِ مُخْتَارَهــا(٤)

وللأعشى فى خمرياته شعر هو أشبه شئ بكلام الثمل . يقول :

ولقــد شربتُ ثمانيًا وثمانيًا ... وثمانٍ عَشْرةَ واثنتين وأَرْبَعا

من قهوةٍ باتَت بفارِس صَفْوَةً ... تَدَعُ الفتى مِلكًا يميل مصرَّعا(٥)

إذا أردنا تقدير هذا البيت وجعلنا معيارنا فى ذلك ما فيه من معنى أو خيال أو عاطفة لم يكن شيئًا . ولكنه مع ذلك جميل . وجماله يأتى من وجهين : من المفاجأة التى نجدها فى كل عدد ، ومن أن الشاعر فى موطن خلاعة ، فهو ثمل . وكلامه هذا أشبه ما يكون بكلام السكارى . وليس جماله كما قال بعض النقاد من أنه عدد إرادةَ التكثير ، حين كان يستطيع أن يُجمِل ، فيقول إنه شرب أربعين كأسا . فقد لا يَجمُل من الفارس

---

(١) الفصوص جمع فص (بفتح الفاء) وهو حدقة العين . سار الشراب فى رأسه دار وارتفع ، فهو سوار .

(٢) تميل بنا تقلبنا . نعالج امرارها نزاول مرارتها ونمارسها بعد احجامنا .

(٣) الذؤابة الرأس . فوارها ثورتها فى رأس شاربها .

(٤) تمزز الشراب تمصصه . بنوقابيا المجتمعون لشرب الخمر .

(٥) صفوة كل شيء خالصه وخياره .

أن يقول فى شعر حماسة إنه قتل ثمانية وثمانية وثمانية عشر واثنين وأربعة . ولو أنه قال ذلك لكان قولا سخيفا .

وشبيه بهذا المذهب قول الأعشى فى مطولته :

وقد غدَوت إلى الحانوت يَتبعنى شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

فالكلمات الأخيرة المتشابهة كلها بمعنى « نشيط » . يقول إنه ذهب إلى حانوت الخمر يتبعه خادم نشيط يصيد الصيد ويشويه . وقد يبدو البيت مسفا عند من ينظر إلى ما تضمنه اللفظ الكثير من معنى قليل . والواقع أنه ليس فيه إسفاف . وأى إسفاف فى أن يتفكه الشاعر ويكون فى شعره مداعبا . فالأعشى لم يقصد بهذا البيت وبسابقه إلا مجرد التفكه والدعابة .

والذى نخلص إليه بعد هذا كله هو أن فى خمريات الأعشى شخصية واضحة تتفق مع شخصيته الواضحة فى غزله .

فالاستهتار والإباحة التى تبدو فى مثل قوله فى الغزل :

وبيضاء المَعَاصِم إلْفِ لهـو خلوتُ بسِرِّها ليـــلا تماما

تبدو فى مثل حديثه عن دور البغاء وعن عبثه بالقيان فى الحانات .

والترف الذى يبدو فى بعض غزله حين يتعرض لوصف ما على صاحبته من حلى وحلل ، يبدو فى خمرياته حين يعدد صنوف الرياحين وحين يصف المطربات والراقصات وما يحملن من آلات .

والأسلوب القصصى له أمثلة فى غزله ، كما أن له أمثلة فى خمرياته .

وقد صور لنا الأعشى فى خمرياته كثيرًا من عادات القوم فى شربهم ، ومن مجالس اللهو فى مختلف البيئات . وصف الخمر حينا فى زقاق يشربها

فى الخلاء عند الغدران . ووصفها حينا آخر فى دنان سود ، يحرص عليها صاحبها حرصاً شديداً ، وهى تسقى فى أخبئة . ووصفها مرة ثالثة فى مجلس حافل باللهو والمجون ، تدور فيه القيان بآلات الطرب والغناء ، وقد نثرت من حولهم الورود والرياحين ، تداعبهم نساء متبرجات عاريات الكشوح ، يدسون أيديهم من خلال ثيابهن .

ووصف الخمار فقال مرة إنه فارسى أو رومى أزرق العينين (أزيرق) . وقال فى موضع آخر إنه يهودى . وقال فى موضع ثالث إنه شرب فى الدير .

وأخيراً فنحن نرى الأعشى فى غزله وفى خمرياته جميعا صاحب لذة ، لا همَّ له فى الحياة إلا إشباع حاجته من الخمر والنساء والطعام ، يهلك فيها ماله ، ويعصى فيها كل نصيح ، ويتخطى كل عرف ، مما يذكرنا بقول ابن سلام (فكان من الشعراء من يتألّه فى جاهليته ويتعفف فى شعره ولا يُسْتَهَتَرُ بالفواحش ولا يتهكم فى الهجاء . ومنهم من كان ينعهر ولا يبقى على نفسه ولا يتستر . منهم امرؤ القيس ، ومنهم الأعشى)[1] .

---

(1) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، ص ٣٤ — ٣٥ ط المعارف ١٩٥٢ .

في شعر الأسفار

لعل أغرب فنون الشعر العربي علينا اليوم ما أثر من شعر فى وصف النوق والأسفار . ولعل هذه الغرابة تأتى من أمرين : الأمر الأول أن هذا الشعر قد ضعف تأثيره فينا بعد أن ضاعت قيمة الحيوان أو كادت بتقدم وسائل النقل . والأمر الثانى – وهو نتيجة للأول – أن ضياع قيمة الحيوان ، والناقة بنوع خاص ، قد أدى إلى إهمال الألفاظ المتعلقة بها من أسماء أعضائها وأدواتها وكل ما يتعلق بها من وصف طباعها وحركاتها وأصواتها وما يستحسن فيها وما يستهجن من أمارات العتق ومن العيوب ، فأصبحت الألفاظ والصور الدالة على ذلك كله وما شاكله غريبة علينا نجد فى فهمها وفى تذوقها مشقة كبيرة . وقد يخيل إلينا عند قراءة القصيدة من قصائد هؤلاء الشعراء أن شعر الشاعر يلين ويصلب ، ويرق ويصعب . والحقيقة أن الشعر لا يلين ولا يصعب . ولكن يسهل علينا فهم ما تداول الشعراء من أغراض وما عاش من ألفاظ . ويصعب علينا أن نفهم ما قضى عليه تطور الحياة بالموت والدروس .

كانت صحبة الجاهلى للناقة طويلة . وكانت حياته قائمة عليها . من أصوافها وأوبارها وجلودها بيته ولباسه ، وفراشه وغطاؤه وأثاثه . ومن لبنها شرابه . ومن لحمها وشحمها طعامه . وعليها رحلته . وهذا التلازم بين العربى وناقته فى السلم والحرب ، وفى الحل والترحال ، مع تعلق حياة أحدهما بالآخر فى الأسفار بوجه خاص ، قد عطفه على ناقته وجعلها أعز شئ عليه ، لا ينافسها فى هذا المكان إلا الفرس . بيد أن مكان الفرس عند الفرسان خاصة ، ومكان الناقة عند الفرسان والعامة على السواء . فلم يكن غريبا مع ذلك كله أن تملأ الناقة شعر العربى ولغته ، فيضعوا الأسماء لأدق أعضائها وأتفه أدواتها وأخفى حركاتها ، وأن تشيع الأخيلة المتعلقة بها فى الحياة .

فالرجل إن عجز عن الكلام فقد اعتُقِل لسانه . وإن احتال للشئ عند رجل فهو يَفْتِل له بين الذِرْوة والغارب . وإن علا الشئ فقد تسنمه . وإن تُرِك وهواه فحبله على غاربه . وإن أحسن قالوا لله دره . وإن أفسد بين الناس فقد ألقَحَ الشر بينهم . وإن اشتدت الحرب فهى زَبُون . وهكذا نظن أن نصف اللغة يضيع إن نحن أسقطنا ما يتعلق بالناقة من كلمات وعبارات . كما يضيع شطر كبير من شعرنا القديم إن نحن أهملنا ما يتعلق منه بالناقة والأسفار . وبحسبنا أن ننظر فيما بقى من شعرهم . فمعلقة النابغة ستون بيتا ، يتغزل منها فى ثلاثة وعشرين ، ويصف الناقة فى ثلاثة وعشرين . ومعلقة لبيد تسعة وثمانون بيتا ، يتغزل منها فى واحد وعشرين بيتا ، ويصف الناقة فى ثلاثة وثلاثين . ومعلقة طرفة مائة بيت وعشرة أبيات ، يتغزل منها فى عشرة ويصف الناقة فى ثلاثين . ومعلقة الأعشى خمسة وسبعون بيتا ، يتغزل منها فى سبعة عشر بيتا ، ويصف الناقة فى عشرين . ويمدح بعض قومه فى قصيدة أخرى فيتغزل فى ثمانية عشر بيتا ، ويصف الناقة فى واحد وعشرين بيتا ، ثم يمدحهم فى ثمانية عشر بيتا . وأمثلة هذا فى شعرهم كثير تكفى فيه النظرة السريعة .

وقد كان اقتحام الصحراء والصبر على مكارهها والجرأة على مخاطرها ضربا من المغامرة التى يطيب للشاعر أن يفتخر بها فى شعره ويقرنها بذكر الخمر والنساء فى أكثر الأحوال ، مُدِلاًّ بخبرته وقوته وجلده ، أو معددا لممدوحه ما تكلف من مشاق فى سبيل الوصول إليه .

وكان الشعر الجاهلى ، فى طوره الذى انتهى إليه والذى حفظه لنا الرواة ، قد بلغ من النضج والاستقرار حدا شاعت معه فيه كثير من

الأساليب المأثورة المعادة فى أكثر الأغراض ، وهو ما ما يسمه بعض النقاد (القوالب التعبيرية) . وأكثر ما كانت تتردد هذه القوالب والأساليب فى شعر الناقة .

على أن شيوع القوالب والأساليب المأثورة المعادة فى الشعر الجاهلى إن عد من مظاهر الجمود ، فهو فى الوقت نفسه دليل على عراقة هذا الشعر وإيغاله فى القدم ، بما يسمح برسوخ تقاليد معينة له ، يصبح لها مع مرور الزمن سلطان قاهر يبلغ حد الجمود . وهو مع ذلك ظاهرة مألوفة معروفة فى كثير من الآداب قديمها وحديثها ، على درجات تختلف باختلاف الظروف والأحوال . ذلك أن من المسلم به أن قدرا كبيرًا من أعمالنا يصدر عفويا من فيض ما رسخ فى نفوسنا من معان وملكات .

ولكن الذى يلفت النظر فى شعر الناقة هو أنه قد تجاوز فى التزامه تلك الأساليب التقليدية الحدودَ المألوفة فى غيره من الفنون الأخرى .

صوّروا الناقة فى شعرهم قبل السفر قوية خصها صاحبها بمزيد من عنايته ، فعلفها وأراحها ومنع عنها الفحول . فإذا كانت الرحلة فهى صبور نشيطة فى الهاجرة ، تصل الليل بالنهار فى غير ما كلل . فإذا انتهت الرحلة صوروها هزيلا ضامرة تشكو الكلال إلى صاحبها فيعزيها عما لقيت بما سيصيب صاحبها من عطاء الممدوح .

وشبهوها بحمر الوحش وبثور الوحش وبالنعامة — وهو قليل — وأسرفوا فى إضافة كل ما يمكن من صور السرعة والإعياء إلى المشبه به . فالحمار مولع بأتان تنفر منه فيسرع فى أثرها . وهو غيور عليها حريص على القرب منها . يذود عنها الفحول ليستأثر بها . وقد يَرِدُ بها الماء ، فيفاجئه صائد لا ينجو منه إلا بعد لأى . والثور نفور حذر يسرع فى العدو لأدنى حركة

يحس بها . يفاجئه صائد يقود كلابه . فلا تكاد تبصره حتى تهاجمه . ولا يزال يدافع عن نفسه مستبسلا حتى يتغلب عليها . والناقة فى جرأتها واقتحامها للصعاب وتغلبها عليها ، مع سرعتها ، تشبه فى آخر الأمر هذا الثور أو ذاك الحمار .

وليس من السهل أن نفرق بين شعر هذا الشاعر أو ذاك فى الناقة . فأسلوبهم فيها متشابه إلى حد كبير . والصور التى يلتزمونها والأساليب التى يجرون عليها تكاد تكون أنماطا ثابتة لا تغيير فيها ولا تبديل إلا فى حدود ضيقة نظفر فيها بين وقت وآخر ببعض صور جديدة يبتكرها الشاعر . لذلك جاء أسلوب الأعشى فى هذا الفن صورة من الأنماط الشائعة التى توارثها أهل عصره والتزموها .

يقول الأعشى فى معلقته — وهو من أجمل شعره فى الناقة وفى وصف الصحراء :

وعَسِيرٍ أدْمَاءَ حَادِرَةِ العَيْـ ... ـنِ خَنُوفٍ عَيْرَانَةٍ شِمْلَالِ (١)

من سَرَاةِ الهِجَانِ صَلَّبَهَا العُـ ... ـضُّ ورَعْىُ الحِمَى وطولُ الحِيالِ (٢)

لم تَعَطَّفْ على حُوَارٍ ولم يَقْـ ... ـطَعْ عُبَيْدٌ عروقَها من خُمالِ (٣)

قد تَعَلَّلْتُهَا على نَكَظٍ المَيْـ ... ـطِ وقد خَبَّ لامِعَاتُ الآلِ (٤)

فوق دَيْمُومَةٍ تَغَوَّلُ بالسَّفْـ ... ـرِ قِفَارٍ إلَّا من الآجالِ (٥)

---

(١) ناقة عسير ترفع ذنبها فى عدوها . أدماء خالصة البياض . حادرة العين صلبة العين . خنوف نشيطة تختف برأسها وعنقها أى تميلها . عيرانة تشبه العير وهو حمار الوحش فى نشاطها . شملال سريعة .

(٢) سراة كل شىء أعلاه وخياره . الهجان من الابل البيض الكرام . العض العلف . الحيال من حالت الناقة فهى حائل غير حامل .

(٣) الحوار ولد الناقة . الخمال داء يصيب القوائم فتتشنج عروقها .

(٤) تعللتها أى استخرجت ما عندها من السير كما يشرب الشارب العلل بعد النهل . النكظ الشدة والعجلة . الميط البعد . خب طال وارتفع . الآل السراب .

(٥) ديمومة صحراء بعيدة الأطراف يدوم فيها السفر . تغول بالسفر تهلكهم وتضلهم . الآجال جمع اجل (بكسر فسكون) وهو القطيع من بقر الوحش .

وإذا ما الضلالُ خِيفَ وكان الـ ... وِرْدُ خِمْسًا يرجونه عن لَيَالِ (١)

واستُحِثَّ المغيَّرون من القو ... م وكان النِّطافُ ماقي العَزَالى (٢)

مَرِحَتْ حُرَّةٌ كقنطرة الرو ... مىِّ تَفْرِى الهجيرَ بالإرْقالِ (٣)

تقطع الأمعزَ المكَوْكِبَ وَخْدًا ... بنواجٍ سريعــةِ الإيغالِ (٤)

عَنْتَرِيسٍ تعدو إذا مسَّها السو ... طُ كعدوِ المُصَلْصِلِ الجوَّالِ (٥)

لاحَهُ الصَّيفُ والصِّيالُ وإشفا ... قٌ على صَعْدةٍ كقوس الضَّالِ (٦)

مُلْمِعٍ لَاعَةِ الفؤاد إلى جحـ ... شٍ فَلَاهُ عنها ، فبئس الفالى (٧)

ذو أذاةٍ على الخليط خبيثُ الـ ... نفسِ يَرى مَرَاغَه بالنُّسالِ (٨)

---

(١) الخمس ورود الماء بعد خمسة ايام .

(٢) غير فلان عن بعيره حط عنه رحله واصلح من شأنه ، فهو مغير . النطاف جمع نطفة وهى بقية الماء . العزالى جمع عزلاء وهى مصب الماء من الراوية أو القربة .

(٣) مرحت نشطت ، قنطرة الرومى يقصد برجا من بناء الروم ، لأن العرب لا بناء لها . الارقال ضرب من عدو الابل . يقول : حين يقل الماء ولا يرجى الوصول له قبل خمس ليال ، فيستحث المسافرون الذى يتمهل لتغيير راحلته المتعبة ، فى ذلك الوقت تبدو ناقته القوية الضخمة البناء نشيطة تسعف الراكب وتنجده .

(٤) الأمعز الغليظ من الارض . المكوكب المتوقد من الحر . جمل واخد ووخاد واسع الخطو . نواج قوائم . الايغال مصدر أوغل فى السير أى بالغ وأبعد .

(٥) عنتريس صلبة قوية . المصلصل حمار الوحش لكثرة نهيقه . جوال من جال يجول أى طاف ولم يستقر .

(٦) لاحه اضمره وغيره . الصيف لانه وقت الجفاف ويبس الكلأ . الصيال مصدر صاول ، يقصد مصاولة الفحول من حمر الوحش . الصعدة القناة ، تطلق على الأتان الطويلة الظهر على التشبيه بها . الضال شجر تتخذ منه ألقسى .

(٧) ملمع استبان حملها فى ضرعها فاشرق باللبن . لاعة من اللوعة وهى أشد الحزن . الافتلاء الفطام . يقول ان الحمار صرف الجحش عن أن يرضع من أمه فهى تحن اليه .

(٨) الخليط المخالط والمعاشر . المراغ حيث تتمرغ . النسال ما سقط ونسل من شعر .

غادر الجحش فى الغُبار وعَدَّا هـا حثيثًا لصُوَّةِ الأَدْحَال (١)

ذاك شبَّهتُ ناقتى عن يمين الـ رَّعْنِ بعدَ الكَلال والإعْمال (٢)

وتراها تشكو إلىَّ وقـد آ لَتْ طَلِيحًا تُحْذَى صدور النِّعال (٣)

نَقَبَ الخُفُّ للسُّرَى . فترى الأَنْـ سَاعَ من حِلِّ ساعةٍ وارتحال (٤)

أثَّرَتْ فى جَنَاجِنٍ كإِرانِ الـ مَيْتِ عُولِينَ فوق عُوجٍ رِسَال (٥)

لا تَشَكَّىْ إلىَّ من ألم النِّسْـ ع ولا من حَفىً ولا من كَلَال

لا تَشَكَّىْ إلىَّ وانتجعى الأَسْـ وَد أهلَ النَّدَى وأهلَ الفَعَال (٦)

الصحراء واسعة مترامية الأطراف ، قفار إلا من قطعان بقر الوحش . لابد للمسافر فيها أن يريح راحلته بين حين وحين . وقد يضل . وقد ينفد ما ادخره من ماء حتى لا يبقى فى الزقاق غير صبابة . من ألقى فيها بنفسه فقد عرض حياته للخطر . ولكن صاحبنا قد ادخر لمثل هذه الشدة ناقة صلبة أحسن القيام عليها . سليمة القوائم . لم يذهب بعزمها وقوتها حوار تعطف عليه وتغذوه ، لأنها حائل من زمن . فهى جريئة على مثل هذه الأسفار

---

(١) عداها صرفها . حثيثا سريعا . الصوة ما غلظ من الارض . الادحـال جمع دحل (بفتح الدال وضمها ثم سكون) وهى حفرة ضيقة الاعلى واسعة الاسفل ، حيث مورد الماء .

(٢) رعن الجبل أنفه الشاخص . الاعمال تكليفها السير .

(٣) آلت رجعت . طليحـا أعياها التعب . النعل طبق من جلد تلبسـه الناقة فى الخف .

(٤) نقب الخف رق وتثقب النسوع السـيور العريضة التى تشد بها الرحال الى بطن الناقة .

(٥) الجناجن عظام الصدر . الاران سرير الميت . العوج أرجلها المعوجة . الرسل (بفتح فسكون) السهل السير .

(٦) الاسود هو الاسود بن المنذر أخو النعمان ملك الحيرة . مدحه الأعشى بهذه القصيدة .. الفعال (بفتح الفاء) إسم للفعل الحسن خاصة وللكرم . والفعال (بكسر الفاء) جمع فعل ، الحسن والقبيح .

الخطرة . تسرع حين يتوقع المسافرون الضلال ، وحين يخشون نفاد الماء وبينهم وبينه مسيرة خمس ليال ، وقد توقدت الصحراء من حر الهاجرة . إذا مسها السوط عدت على ما بها من أذى وكلال ، كأنها حمار وحش ضمر وتغير وتساقط شعره حين حل به الصيفُ فيبس الكلأُ وجف الماء .

ويستطرد الشاعر فى وصف ذلك الحمار ، فيقول إنه عنيف غليظ كثير الأذى لأُنثاه الضامرة ، يطرد عنها ابنها الصغير ويذوده عن ضَرْعها المُشرِق باللبن ، حين يدفعها أمامه مسرعا إلى مورد الماء ، وفى قلبها لوعة على ابنها المنقطع الصغير .

ثم يعود الشاعر لناقته ، فيقول إنها تشبه فى نشاطها وصبرها على المكاره حمار الوحش ذاك .

ولا تقطع ناقته هذه الصحراء المخيفة إلا وقد نَقِب خُفُّها وبرزت عظام جسمها الضخم ، حين تركت السيورُ التى تَشُدُّ الرحلَ آثارا ظاهرة فيه ، فكأنه نعش ضخم محمول فوق أرجلها المعوجة المسترسلة . فإذا اشتكت إليه ناقته الكلال قال لها :

لا تَشَكَّىْ إلىَّ وانتجعى الأسْـ ... ـوَدَ أهلَ الندَى وأهل الفَعال

ويشبه الأعشى ناقته بحمار الوحش فى موضعين آخرين من شعره ، فيعيد الصورة نفسها . يقول فى إحدى القصيدتين :

تَرَاها كَأَحْقَبَ ذى جُدَّتيـ ... ـن يجمع عُونًا ويَجْتَالُها[1]

---

(١) الاحقب حمار الوحش ، سمى بذلك لبياض حقويه . والحقو (على وزن دلو) الخصر . والحقب الحزام يلى حقو البعير أو حبل يشد به الرحل فى بطنه . الجدة الطريقة والعلامة ، يصف الخطوط التى على جسمه . عون جمع عانة وهى القطعة من الحمر . يجتالها يحولها عن قصدها ويحملها على أن تجول معه .

نحائضَ حُولًا على عَيْنِه ... حَلَائلَ لم يؤذه مالُها (١)

عنيفٌ – وإن كان ذا شِرَّةٍ – ... بِجَمْعِ الضَّرائر شَلَّالُها (٢)

إذا حال من دونها غَبْيَةٌ ... من التُّرْب فانجال سِرْبالُها (٣)

فلم يَرْضَ بالقُرْب حتى يكون ... وِسادًا لِلَحْيَيْهِ أكفالُها (٤)

أقام الضغائنَ من دَرْئِهَا ... كفَتْل الأَعِنَّة فَتَّالُها (٥)

فذلك شَبَّهتُـــه ناقتى ... وما إن لغـــيرك إعمالُها

ويقول فى القصيدة الثانية ، وقد زاد على الصورة السابقة أن الحمار فوجئ بصياد بعد ما لقى من جهد فى مطاردة الأُتان .

عَرَنْدَسَةٌ لا يَنقُضُ السَّيرُ غَرْضَها ... كأَحْقَبَ بالوَفْراءِ جَأْبٍ مكدَّمِ (٦)

---

(١) النحوص (بفتح النون) الحائل غير الحامل ، حلائل جمع حليلـــة وهى الزوجة . لم يؤذه مالها لم يدفع لها مهرا .

(٢) الشرة الحدة والنشاط والحرص . الضرائر جمع ضرة ، وهى النساء اللائى يجمع بينهن زوج واحد . الشل الطرد .

(٣) الغبية الدفعة من كل شئ . انجال التراب ذهب وسطع وارتفع . السربال القميص وكل ما يلبس . يقول ان الغبار لفها واصبح لها كالسربال .

(٤) اللحى (بفتح فسكون) منبت اللحية ، وهو الفك الأسفل . فيه لحيان ، كل جانب لحى . الكفل المؤخرة والعجز . يصف الحمار وقد الصق راسه بعجـــز الاتان واسنده اليه .

(٥) الضغن (بكسر فسكون) الميل والعوج . وكذلك الدرء . قومت درء فلان اى عوجه . الاعنة جمع عنان . يقول انه ضابط لقطيع الاتن لا يشذ عليه شئ منها بعد ان قوم عوجها فاصبحت فى اجتماع أمرها كالحبل المستحصد المفتول .

(٦) عرندسة شديدة . الغرض حزام الرجل . لا ينقضه السير اى انه لا يهـزله الناقة فيسترخى الحزام . الاحقب حمـــار الوحش . الوفراء الارض التى لم ينقص من نبتها شئ . جأب غليظ . مكدم به كدوم من اثر العض .

رعى الرَّوْضَ والوَسْمِيَّ حتى كأنَّما ... يرى بيبيس الدَّوِّ إمْرَارَ علقم (١)

تلاَسَقْبَةً قَوْدَاء مشكوكةَ القَرَى ... متى ما تخالفه عن القَصْد يَعْذِمِ (٢)

إذا ما دنا منهـــا التقَتْه بحافرٍ ... كأن له فى الصدر تأثيرَ مِحْجَمِ (٣)

إذا جاهَرَتْهُ بالفضاء انبرَى لها ... بِشَدٍّ كإلهاب الحريق المضرَّم (٤)

وإن كان تقريبٌ من الشَّدِّ غالها ... بمَيْعَةٍ فَنَّان الأَجَارِيِّ مُجْذِمِ (٥)

فلما عَلَتهُ الشمسُ واستَوْقَد الحَصَى ... تذكَّرَ أدنى الشِّرْب للمُتَيَمِّمِ (٦)

فأورَدَها عينًا من السِّيفِ رَيَّةً ... بها بُرَءٌ مثلُ الفَسِيل المكَمَّمِ (٧)

بَنَاهُنَّ من (ذَلَّانَ) رامٍ أعدَّها ... لقتل الهَوَادِى داجنٌ بالتَّوَقُّمِ (٨)

فلما عَفَاها ظَنَّ أن ليس شارِبًا ... من الماء إلا بعد طول تَحَرُّمِ (٩)

---

(١) الروضة المكان الذى يستنقع فيه ماء المطر . فلاذا جف الماء انبت عشبا كثيفا . الوسمى أول مطر الخريف . الدو الصحراء .. اليبيس العشب اليابس . العلقم الحنظل ، وهو شديد المرارة . يقول انه قد تعود رغد العيش فهو لا يطيق ان يعيش على يأبس الكلأ .

(٢) السقبة الجحشة . الاقود الذليل المنقاد ، والمؤنث قوداء . القرى الظهر . مشكوكة القرى نحيلة . شك البعير لزق عضده بالجنب . يعذمها يعضها .

(٣) المحجم الالة التى يحجم بها الحجام ، تترك على الجلد اثرا مستديرا فى موضع الحجامة . يشبه اثر حافر الاتان فى صدر الحمار حين ترفسه بأثر المحجم .

(٤) جاهرته برزت له . الشد الجرى ، يشبه احتدامه بالحريق .

(٥) التقريب ضرب من العدو . غالها غلبها . ميعة الشباب والنهار أوله وأنشطه . فنان الأجارى يجرى فنونا وألوانا . أجذم السير أسرع .

(٦) الشرب (بكسر الشين) الماء والورد . متيمم اسم فاعل من تيمم الشىء قصد اليه .

(٧) السيف ساحل البحر وساحل الوادى . رية غزيرة الماء . برء جمع بروة (بضم فسكون) وهى بيت الصائد . الفسيل جمع فسيلة وهى النخلة الصغيرة . المكمم الذى غطى ولفف حتى يشتد . شبه وكر الصائد بهذا الفسيل المكمم .

(٨) رام صائد يرمى بالنبل . الهوادى جمع هادى وهو اول الرعيل . داجن متعود ، دجن بالصيد تعوده وخبره . توقم الشىء تعمده ، وتوقم الصيد قتله .

(٩) عفاها أتاها ، يقصد عين الماء . ظن حمار الوحش أنه لا يشرب الا بعد حرمان طويل لانه رأى وكر الصائد فهرب .

وصادف مثلَ الذئبِ فى جَوْفِ قُتْرةٍ　　فلما رآها قال : ياخَيْرَ مَطْعَمِ (١)

ويَسَّرَ سهمًا ذا غِرارٍ يسوقه　　أمينُ القُوَى فى صُلْبه المترنِّمِ (٢)

فمرَّ نَضِىٌّ السهم تحت لَبَانِهِ　　وجال على وحشِيِّه لم يُثَمْثِمِ (٣)

وجال وجالَتْ ينجلى التُّرْبُ عنهما　　له رَهَجٌ فى ساطع اللون أقتمِ (٤)

كأَنَّ احتدامَ الجَوْفِ فى حَمْيِ شَدِّه　　وما بعدَه من شَدِّه غَلْيُ قُمْقُمِ (٥)

فذلك بعد الجَهْدِ شَبَّهتُ ناقتى　　إذا ما وَنَى حَدُّ المَطِىِّ المخَزَّمِ (٦)

ولهذه الصورة نظائر فى شعر النابغة وزهير ولبيد ، بل فى شعر امرىء القيس ، وهو من أقدم الشعراء الذين وصلَنا شعرُهم . فالنابغة الذبيانى يقول :

كأَنى شَدَدْتُ الرَّحْلَ حين تشذَّرَتْ　　على قارحٍ مما تَضَمَّن (عاقِلُ) (٧)

---

(١) مثل الذئب يقصد الصياد فى قترته أى مخبئه ووكره . حين رأى الحمار والاتان فرح .

(٢) يسر سهما هيأه . ذاغرار أى حد . امين القوى هو الوتر . المترنم لان له صوتا ورنينا .

(٣) نضى فعيل من نضى أى خلع ونزع . لبانه صدره . وحشى كل دابة شقها الأيمن ، وانسيها شقها الايسر ، لم يثمثم لم يبطىء ، الثمثمة الاحتباس .

(٤) جال حمار الوحش ، وجالت انثاه . الرهج الغبار . سطع علا وانتشر فهو ساطع . أقتم مظلم لكثافته .

(٥) احتدام النار والحر اشتداده . الشد الجرى . حميه حرارته . شبه حرارة الجري بغليان القمقم .

(٦) ونى فتر . المطى جمع مطية . حدها نشاطها . المخزم الذى وضعت فى انفه الخزامة (بكسر الخاء) وهى برة (بضم ثم فتح) توضع فى أنف البعير ويشد فيها الزمام لتؤلمه اذا جذب منها فينقاد لراكبه .

(٧) الرحل من الناقة بمثابة السرج من الخيل . تشذرت نشطت واسرعت . القارح من ذى الحافر الذى شق نابه ، وهو بمنزلة البازل من النوق . يشير بذلك الى اكتمال قوته . عاقل موضع .

أَقَبٌّ كَعَقْدِ الأَنْدَرِيِّ مُسَحَّجٍ   حَزَابِيَةٍ قد كَدَّمَتْه المَسَاحِلُ(١)

أَضرَّ بجَرْداءِ النُّسالةِ سَمْحَجٍ   يقلِّبُها إِذْ أعوزَتْه الحَلَائِلُ(٢)

إِذا جَاهَدَتْه الشدَّ جَدَّ ،وإن ونَتْ   تَساقَطَ لا وانٍ ولا متخاذِلُ(٣)

وإن هَبطا سهلًا أثارا عَجَاجَةً   وإن عَلَوا حَزْنًا تَشظَّتْ جَنَادِلُ(٤)

وزهير يقول :

كأَنَّ الرحْلَ منها فوق صَعْـــلٍ   من الظِّلْمان جُؤْجُؤه هَوَاءُ(٥)

أَصكَّ مصلَّمِ الأُذنين أَجْنَى   له بالسِّيِّ تَنُّـــومٌ وآءُ(٦)

أَذلك أَم شَتِيمُ الوجه جَأْبٌ   عليه من عَقِيقَتِه عِفَـــاءُ(٧)

---

(١) اقب مرتفع البطن . العقد ما عقد من البناء . الاندرى نســـبة الى الاندرين وهى قرية بالشام . شبه حمار الوحش فى استحكام خلقـــه ببناء الروم . مسحج معضض . حزابية غليظ شديد . كدمته تركت به كدوما اى عضضته . المساحل الحمير مفردها مسحل (بكسر فسكون) .

(٢) النسالة ما نسل وتساقط من الشعر . جرداء النسالة هى اتانة . سمحج طويلة الظهر . يقلبها يوجهها فى مختلف الوجوه . الحلائل جمع حليلة وهى الزوجة . يقول ان القطيع قد فاته ، وانفرد بهذه الاتان يؤذيها بعنفه وغيرته عليها .

(٣) الشد الجرى . ونت أبطأت . يقول انه يتبـع أنثـاه ويجاريها فى السرعة والبطء .

(٤) العجاجة الغبـار . الحزن ما غلظ من الارض . تشـظت تكسرت وتطـايرت . جنادل صخور .

(٥) صعل صغير الرأس ، يقصد ظليما صعلا ، والظليم ذكر النعام يشبه ناقته فى سرعتها به . جؤجؤه صدره . هواء أى ليس له قلب ، يقصد أنه لا عقل له .

(٦) الصكك اصطكاك العرقوبين . مصلم الاذنين مقطوعهما . يصف الظليم . السى موضع . التنوم والآء شجر . أجنى أدرك أن يجنى .

(٧) اذلك استفهام . يقول هل تشبه ناقته ذلك الظليم ، أم أنها تشبه حمار الوحش الذى سيصفه بعد . شتيم الوجه كريه الوجه يقصـــد حمار الوحش . جأب غليظ قظ . العقيقة وبر كل مولود من الناس والبهائم . وأراد بالعقيقة هنا الوبر الحـولى الذى ينبت فى الربيع . فاذا خرج من الربيع وحل الصيف انجرد من عفـــاله أى شعره .

تَرَبَّعَ صارَةً حتّى إذا ما ‏ فَنَى الدُّحْلانُ عنه والإِضاءُ (١)

تَرَفَّعَ للقِنَـــان وكلُّ فج ‏ طَبَاه الرَّعْىُ منـــه والخَلاءُ (٢)

فأَوردَهَا حِيَاضَ صُنَيْبِعاتٍ ‏ فأَلفاهنَّ ليس بهنَّ ماءُ (٣)

فَشَجَّ بها الأَمَاعِزَ فهى تَهْوِى ‏ هُوِىَّ الدَّلْو أَسلَمَها الرِّشاءُ (٤)

فليس لَحَاقُه كلَحَاق إِلْفٍ ‏ ولا كنَجَائها منه نَجَـــاءُ (٥)

وإن مالا لوَعْثٍ خاذَمَتْـــه ‏ بأَلواح مفاصِلُها ظِماءُ (٦)

يَخِرُّ نَبِيثُها عن حاجِبَيْه ‏ فليس لوجهه منه غِطـاءُ (٧)

يغرِّدُ بين خُرْمٍ مُفْرَطَـــاتٍ ‏ صَوافٍ ما تُكَدِّرُها الدِّلاءُ (٨)

يُفَضِّله إذا اجتهَدتْ عليـــه ‏ تَمَامُ السِّنِّ منه والذَّكاءُ (٩)

---

(١) تربع أقام يأكل ما ينبت من كلا الربيع . صارة موضع . الدحـــلان جمع دحل (بفتح فسكون) وهى البئر . الاضاء جمع اضاة (بفتح الهمزة) وهى الغدران .

(٢) القنان جبل لبنى أسد . الفج الطريق . طباه دعاه ما فيه من الرعى أى الكلا وخلاؤه من الناس .

(٣) صنيبعات موضع . ألفاهن وجدهن اى الحياض .

(٤) شج شق وقطع . بها اى بالاتن . الاماعز جمع امعز وهو ما غلظ من الارض . شبهها فى سرعة جريها بدلو تهوى حين خذلها الرشاء أى الحبل بانقطاعه .

(٥) الالف الصاحب . يقول لا يلحق الف اليفه كما يلحق الحمار اتانه ، فهو أسرع شيء فى اللحاق بها . وهى فى الوقت نفسه أسرع شيء فى النجاء منه أى الهرب منه .

(٦) الوعث من الرمل ما تغيب فيه الارساغ . مالا اى الحمـــار واتانه . خاذمته عارضته . يقصد بالالواح قوائمها . وكل عظم فيه مخ فهو قصب ، وكل عظم ليس فيه مخ فهو لوح . مفاصلها ظماء اى صلاب .

(٧) نبيثها ما تحفره قوائمها . يخرعن حاجبيه أى حاجبى الحمار الذى يتبع أتانه ويطاردها .

(٨) خرم غدران . مفرطات مملـــوءات . لم تكدرها الدلاء لانهـــا فى ارض غير مطروقة .

(٩) يفضله أى الحمـــار . اذا اجتهـــدت اى الاتان ، يفضله عليهـــا فى السرعة انه اتم قوته لانه أكبر ســـنا ، وانه اذكى قلبا ، والذكاء كذلك يطلق على السن ، وهو بهذا المعنى تكرار للمعنى السابق .

كأنّ سَحِيلَه فى كلِّ فَجْرٍ على أحْساء يَمْئُودٍ دُعاءُ (١)

فآضَ كأنَّه رَجُلٌ سَلِيبٌ على عَلْيَاء ليس له رداءُ (٢)

كأنّ بَرِيقَه بَرَقَانُ سَحْلٍ جَلَا عن مَتْنِهِ حُرُضٌ وماءُ (٣)

فليس بغافلٍ عنها مُضِيعٍ رَعِيَّتَه إذا غَفَلَ الرِّعاءُ (٤)

ولبيد يقول فى معلقته :

فلها هِبابٌ فى الزِّمام كأنّها صَهباءُ راح مع الجَنُوب جَهَامُها (٥)

أو مُلْمِعٍ وسَقَتْ لأَحْقَبَ لاحَه طَرْدُ الفُحول وضَربُها وكِدامُها (٦)

يعلو بها حَدَبَ الإكام مُسَحَّجٌ قد رابَه عِصيانُها ووِحامُها (٧)

---

(١) سحيله صوته . ومنه سمى الحمار مسحلا . أحساء جمع حسى (بفتح فسكون) وهى مواضع يكون فيها ماء . يمئود أرض . شبه نهيق الحمر فى الفجر بانسان يدعو صاحبه .

(٢) آض رجع وصار . سليب عريان . علياء موضع عال . شبهه بذلك بعد أن ألقى وبره الحولى فى آخر الصيف .

(٣) السحل ثوب يمان أبيض . الحرض الاشنان تغسل بها الايدى بعد الطعام . يشبه بريق الحمار ولمعانه حين انجرد من وبره ببريق ثوب أبيض غسل بماء يصب من القرب فجلا لونه .

(٤) ليس بغافل عن أتنه اذا غفل راع عن رعيته .

(٥) الهباب النشاط . صهباء بيضاء فى احمرار أى سحابة صهباء . الجهام السحاب الذى أراق ماءه فهو أسرع وأخف حين تسوقه الريح . شبه ناقته فى نشاطها حين تنقاد فى زمامها بذلك السحاب .

(٦) ملمع لمع طبيها وأشرق باللبن حين وسقت أى حملت الجنين فى بطنها . والطبى لذات الحافر كالضرع للناقة والثدى للمرأة . الأحقب حمار الوحش لبياض وركيه . لاحه ولوحه غيره . كدامها عضاضها . يقول انه ظل يصارع الفحول حتى انتصر عليها بعد أن تركت المعارك فى جسمه آثارا . وانما يصارعها على زعامة القطيع أو على الانفراد بالأتن . شبه ناقته بهذا الفحل .

(٧) الاكام والآكام جمع أكم ، وأكم جمع أكمة وهى المرتفع . حدبها ما احدودب منها . السحج القشر والخدش العنيف . الوحام اشتهاء الحبلى الشىء . يقول ان هذا الفحل يعلو بأتانه المرتفعات ابتعادا بها عن الفحول . وقد رابه من أمرها اعراضها عنه حين حملت جنينها بعد أن كانت مقبلة عليه .

بأحزّةِ الثَّلَبُوتِ يَرْبَأُ فوقَهـــا   قَفْرَ المَرَاقِبِ خَوْفُها آرامُها (١)

حتّى إذا سَلَخا جُمادَى ستّةً   جَزَءا فطال صيامُه وصيامُها (٢)

رَجَعـــا بأمرهما إلى ذى مِرّةٍ   حَصِدٍ ، ونُجْحُ صَريمةٍ إبْرامُها (٣)

وَرَمَى دَوَابِرَها السَّفَا وتَهيَّجَتْ   ريحُ المَصَايِفِ سَوْمُها وسَهَامُها (٤)

فَتَنَازَعا سَبِطًا يَطِـــير ظِلالُه   كدخان مُشعَلَةٍ يُشَبُّ ضِرامُها (٥)

مَشمولةٍ غُلِثَتْ بنابتِ عَرْفَجٍ   كدخان نار ساطعٍ أَسْنامُها (٦)

فمضَى وقدّمَهـــا وكانت عادةً   منه إذا هى عَرَّدَت إقدامُها (٧)

---

(١) الاحزة جمع حزيز وهو مثل القف (بضم القاف) ما غلظ وارتفع من الارض . ثلبوت موضع . ربأ لهم (كقطع) كان ربيئة وحارسا يراقب العدو . المراقب جمع مرقبة وهى الموضع الذى يقوم عليه الرقيب . وذلك فى موضع قفر أى خال . الارام جمع ارم وهى اعلام الطريق . يقول ان هذا الفحل يحرس القطيع من فوق هذا الموضع المرتفع . وانما يخشى القطيع أن يستتر الصياد خلف الاعلام أى الصخور المنتصبة .

(٢) جمادى اسم للشتاء لجمود الماء فيه . سلخا جمادى .أى انقضى ذلك الشهر عنهم . بذلك ستة شهور فى الشتاء عاشا فيها على الحرمان " جزأ بالرطب عن الماء الشفى ، وذلك حين قل الماء وجفت الغدران .

(٣) المرة القوة واصلها احكام فتل الحبل . الحصد المحكم . الصريمة العزيمة . الابرام الاحكام . يقول عاد الحمار واتانه الى رأى محكم صمما عليه وهو الانتقال الى مورد الماء .

(٤) الدوابر مآخير الحوافر . السفا ضرب من الشوك . سامت الريح سوما مرت واستمرت . السهام شدة الحر .

(٥) تنازعا أى الحمار والاتان . السبط الممتد الطويل . يشبه الغبار الذى يثيره جريها بدخان نار . وكأنه ثوب يتنازعانه من طرفيه .

(٦) مشمولة وصف للنار اى هيجتها ريح الشمال . غلثت خلطت . العرفج نبات . جعله نابتا اى رطبا ليكون دخانه كثيرا . اسنم الدخان ارتفع وأسنمت النار عظم لهيبها . سنام الشىء أعلاه . ج أسنام .

(٧) قدمها اى جعل الاتان أمامه يسوقها الى مقصده . عردت أحجمت .

فتوسَّطَا عُرْضَ السَّرِىِّ وصَدَّعَا مَسجُورةً متجاورًا قُلَّامُهَـا(١)

مَحفوفةً وسْطَ اليَراع يُظِلُّهَـا منه مُصرَّعٌ غابةٍ وقيامُها(٢)

أَفَتِلْكَ أم وحشيةٌ مَسْبُوعَةٌ خَذَلَتْ وهاديةُ الصُّوارِقوامُها.الخ(٣)

ويقدم لنا امرؤ القيس الصورة نفسها فى قصيدته :

أمِنْ ذِكْرِ سَلْمَى إذ نَأَتْك تَنُوص فَتَقْصُرَ عنها خُطوةً وتَبُوصُ(٤)

ويشبه الأعشى ناقته بالبقرة الوحشية وبثور الوحش ، فيقول :

كأنها بعد ما أفضى النِّجادُ بها بالشَّيِّطَيْن مَهاةٌ تبتغِى ذَرَعَا(٥)

أَهْوَى لها ضَابِئٌ فى الأرض مُفْتَحِصٌ لِلَّحم قِدْمًا خَفِىُّ الشخص قدخشَعَا(٦)

فظل يَخدعُها عن نفْس واحِدها فى أرض فَىْءٍ بفعلٍ مثلُه خَدَعا(٧)

حانَتْ ليفجعَها بابنٍ وتُطعِمَه لحمًا فقدأطعَمتْ لحمًا وقدفَجَعَا(٨)

---

(١) العرض (بالضم) الناحية . السرى النهر الصغير . مسجورة مملوءة ماء . الصدع الشق . صدعا العين شقا مابرا ووردها . القلام نبت .

(٢) اليراع القصب . الغـابة الأجمة . يصف المكان بالخصب لغزارة الماء ، فزرعه كثير وشجره كثيف ، بعضه قائم وبعضه مصروع .

(٣) أفتلك ... الخ يتساءل : هل تشبه ناقته ذاك الحمار أم أنها تشبه بقرة وحشية، ثم ينصرف الى وصف البقرة على نحو ما وصف الحمار .

(٤) نأتك هجرتك . تنوص تذهب متباعدا . تبوص تعجل . أى تقدم رجلا وتؤخر أخرى .

(٥) الشيطان (بتشديد الياء وكسرها) واديان . النجاد جمع نجد وهو ما ارتفع . مهاة بقرة وحش . الذرع (بفتحتين) ولد البقرة .

(٦) اهوى لها انحط وانحـدر . ضابىء لازق . متفحص وحش متخذ الحوصا (بضم الهمزة) أى جحرا ، خفى الشخص دقيق الجسم . خشع نحل .

(٧) واحدها ابنها . الفىء الظل . والذى يخدعها عن ابنها هو الوحش المختفى فى الجحر .

(٨) حانت من الحين (بفتح فسكون) وهو الهلاك والمحنة .

فظَل يأْكلُ منه وهى راتعةٌ   حَدَّ النهار تُراعِى ثِيرَةً رُتُعا (١)

حتى إذا فِيقَةٌ فى ضَرْعِها اجتمعَتْ   جاءت لتُرضع شِقَّ النفْس، لو رَضَعا (٢)

عَجْلًا إلى المَعْهَد الأدنَى، ففاجأها   أَقْطاعُ مَسْكٍ . وسافت من دَمٍ دُفَعا (٣)

فانصرفَتْ فاقدًا ثَكلَى على حَزَنٍ   كلٌّ دهاها وكلٌّ عندها اجتمعا

وذاك أن غَفَلَتْ عنه وما شَعَرتْ   أن المنِيَّة يوماً أَرسلَتْ سَبُعا (٤)

حتى إذا ذَرَّ قَرْنُ الشمس صَبَّحهَا   ذُؤالُ (نَبْهَانَ) يبغِى صحبَه المُتَعَا (٥)

بأَكلُبٍ كسراع النَّبْل ضاريةٍ   ترى من القِدِّ فى أَعناقها قِطَعا (٦)

فتلك لم تَتَّرك من خلفها شَبَها   إلا الدَّوَابرَ والأَظلافَ والزَّمَعا (٧)

---

(١) رتعت الماشية فى الكلأ اكلت وشربت ما شاءت فى خصب وسعة . حد الشيء منتهاه . ثيرة جمع ثور .

(٢) الفيقة اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الرضعتين أو الحلبتين . شق الشيء شطره ، وشق النفس ولدها . لوهنا للتمنى ، اى ليته حى فيرضع منها .

(٣) عجلا مصدر عجل (كطرب) ، سكن الجيم للوزن . المعهد الموضع الذى عهدت ولدها فيه حيث تركته . الادنى القريب . اقطاع جمع قطع ، وقطع جمع قطعة . المسك الجلد . سافت شمت . الدفع ما جرى شيئا بعد شيء من دمه . اى انها لم تجد ولدها ولكنها وجدت قطعا ممزقة من جلده وشمت آثار دمه .

(٤) السبع كل وحش مفترس .

(٥) ذر طلع . قرن الشمس أول ما يتبرق منها . دال أسرع ومشى فى خفه . ذؤالة علم الجنس للذئب ، يقصد بالذؤال هنا الصائد . نبهان بطن من قبيلة طيء . المتع جمع متعة اى يطلب لهم صيدا .

(٦) النبل السهام ، شبه بها الكلاب فى سرعتها عند انطلاقها . ضارية من ضرى بالشيء أى تعوده . وكلب ضار بالصيد خبير به قد تعوده . القد السير من الجلد .

(٧) الدوابر مآخير الأظلاف . والظلف الظفر من الحيوانات المجترة كالبقرة والشاة والظبى وشبهها ، وهو بمكان الحافر من الفرس . الزمع جمع زمعة وهو شيء زائد وراء الظلف ، فى كل قائمة زمعان . يقول أن ذلك وحده هو فرق ما بين ناقتى وتلك البقرة . ثم انها تشبهها بعد ذلك فى نشاطها وفيما نال منها من كلال ، وما اعترضها من صعاب .

أرأيت إلى هذه البقرة المسكينة ، خرجت ترعى وقد غفلت عن واحدها فأكله الوحش . فلما اجتمع اللبن فى ضرعها عادت ترضعه ، فلم تجد إلا قطعا مبعثرة من جلده ودفعا من دمه . فإذا أشرقت الشمس فاجأها صائد كأنه الذئب يبغى صحبه صيدًا ، قد تبعته كلاب سريعة كأنها السهام . هذه البقرة نفسها وهذه القصة عينها نجدها فى معلقة لبيد التى قدمنا وصف حمار الوحش فيها منذ قليل ، يعرضها علينا عرضا أكثر تفصيلا ، بعد أن شبه ناقته بحمار الوحش . بقرةٌ أكلت الذئاب ابنها ، وفاجأها مطر ، ثم دهاها الصياد . وأخذ يرميها بسهامه ، حتى إذا يئس من إصابتها أرسل كلابه ، فتلقتها بقرنين محددين كأنهما رمحان ، وقد أيقنت أنها هالكة إن لم تستبسل فى الدفاع . وينتهى أمرها بالانتصار بعد أن تقتل كلبين من كلاب الصياد .

ونجد هذه الصورة أيضا فى شعر زهير ، فى قصيدته :

غَشِيتَ دِيارًا بالبَقِيع فَثَهْمَدِ   دَوارِسَ قد أقْوَيْنَ مِن أُم مَعْبَدِ[1]

وصورة أخرى قريبة من هذه يقدمها لنا الأعشى حين يشبه ناقته بثور وحش نزل به المطر . فلجأ إلى شجرة يحتمى بغصونها ، حتى إذا طلع النهار بعد ليل شاق طويل فاجأه الصياد بأكلبه . فيدافع عن نفسه دفاعا جريئا ينتهى بقتل هذه الكلاب .

يقول الأعشى :

قَدْ تعلَمين يا قُتَيْلةُ إذْ   خان حبيبٌ عهده وأَدَلّ[2]

---

(١) البقيع وثهمد موضعان . ام معبد صاحبته . درست الدار انطمست آثارها . اقوت اقفرت وذهب اهلها .

(٢) قتيلة هى أشهر صاحبات الاعشى . أدل تكبر وتاه .

أن قد أَجُدُّ الحبلَ منه إذا ... ياقَتْلُ ما حَبْلُ القَرِينِ شَكَلْ (١)

بعَنْتَرِيسٍ كالمحَـالةِ لم ... يُثْنَ عليها للضِّرابِ جَمَلْ (٢)

مَتِى القُتُـودُ والفِتَانُ بأَلْـ ... واحِ شِدَادٍ تحتهن عُجُلْ (٣)

فيها عَتَادٌ إذ غَدَوْتُ على الـ ... أمر وفيها جُرأة وقَبَلْ (٤)

كأنَّها طاوٍ تَضيَّفَـه ... ضَرْبُ قِطارٍ تَحثُّه شَمْأَلْ (٥)

باتَ يقول بالكثيب من الـ ... غَبْيَةِ أَصْبِحْ ليلُ ، لو يفعلْ (٦)

مُنكَرِسًا تحت الغصون كما ... أَحْنَى على شِماله الصَّيْقَلْ (٧)

حتّى إذا انجلى الصباحُ وما ... إنْ كاد عنه ليلُه يَنْجَلْ (٨)

---

(١) جد الحبل (كنصر) قطعه . القرين الصاحب . شكل اشتبك . أى انه لا يبالى أن يقطع الود أشد ما يكون اشتباكا واتصالا .

(٢) عنتريس ناقة قوية صلبة . المحالة البكرة العظيمة التى يدور عليها الحبل فوق البئر . يشبه بها ناقته فى سرعتها . الضراب نزو الفحل على الانثى . اى انها لم تحمل ولم تلد لتدخر قوتها للأسفار .

(٣) القتود جمع قتد (بالتحريك) وهو خشب الرحـل أو ادواته جميعا . الفتان غطاء للرحل من الجلد . آلواح جمع لوح ، وهو العظم العريض من عظام الجسم ، ما خلا قصب اليدين والرجلين . عجل جمع عجول (بفتح العين) ، يقصـد بها قـوائم النـاقة لسرعتها فى السير .

(٤) العتاد العدة للامر وما تهيئه له . القبل (بالتحريك) الفحج ، وهو انعـراج ما بين الرجلين فى المشى .

(٥) طاو جائع ، صفة لموصوف محذوف وهو ثور الوحش . تضيفه نزل به . القطار جمع قطر (بفتح القاف) وهو المطر . تحثه أن تدفعه وتسوقه . الشمأل ريح الشمال .

(٦) الكثيب التل من الرمل . الغبية الدفعة الشديدة من المطر . لو للتمنى أى انه يتمنى طلوع صبح ذلك اليوم الثقيل .

(٧) منكرسا مندسا قد انكب على وجهه . الصيقل الذى يشحذ السيوف ويجلوها . احنى انحنى . يشبه الثور وقد انكب لجنبه ووجهه بصاقل السيف المائل لجنبه منكبه على السيف حين يشحذه .

(٨) انجلى الصباح ظهر . لم يكد الليل ينجلى لثقله .

أَحسَّ (بالسِّمارِ) عُجْلَ طِمِلٌ ‏ ‏ . . . . الغُفُلْ (١)

أَطْلَسَ طلَّاعَ النِّجاد على ال ‏ ‏ وَحْش غَبًا مثلَ القناة أَزَلّ (٢)

فى إِثْرِه غُضْفٌ مُقَلَّـــدةٌ ‏ ‏ يسعى بها مُغَاوِرٌ أَطحَل (٣)

كالسِّيدِ لا يَنْمِى طَرِيدتَه ‏ ‏ ليس له مما يُحانُ حِوَلْ (٤)

هِجْنَ به فانصاعَ مُنصِلتًا ‏ ‏ كالنَّجْم يَختار الكثيبَ أَبَلّ (٥)

حتى إذا نالَتْ نَحَى سَلِبًا ‏ ‏ وقد عَلَتْه رَوْعةٌ وَوَهَلْ (٦)

لا طائِشٌ عند الهِياج ولا ‏ ‏ رَثٌّ السلاحِ مُغادِرٌ أَعزَلْ (٧)

يَطعَنُها شَزْرًا على حَنَقٍ ‏ ‏ ذو جرأة فى الوجه منه بَسَلْ (٨)

---

(١) السمار موضع . الطمل الذئب ، شبه به الصياد لخفته ،. عجل (بضم فسكون) جمع عجول (بفتح العين) وهو المسرع . يقصد بها الكلاب . وبقيـــة البيت ساقط فى أصول الديوان .

(٢) اطلس فى لونه غبرة الى السواد ، يصف الصـياد . النجاد جمـع نجد (بفتح فسكون) وهو المرتفع من الارض . غبا مصدر غبى (كعلم) اى خفى . اى انه يدب الى هذه الوحوش خفية . ازل ارسح ، والرسح قلة لحم العجز والفخذين .

(٣) غضف مسترخية الآذان . غضف الكلب اذنه ارخاها . المغـاورة أن يغير كل من الخصمين على الآخر .اطحل أغبر فى مثل لون الرماد .

(٤) السيد (بكسر السين) الذئب . نمى الصيد رماه فأصابه ولكنه هرب وفيـه بقية من روح . يقول انه يصيب صيده فى المقتل فيموت لتوه . يحان من الحين (بفتح الحاء) وهو الهلاك . حول تحول وانتقال . اى أنه لا يتحول عن الصيد الذى قـدر له أن يهلك على يديه .

(٥) هاج الشىء اثاره . هجن اى الكلاب . به اى بالثور . انصـاع مر مسرعا . انصلت فى سيره أو عدوه مضى جادا . كالنجم اى مسرعا كالشـهاب ، أو مشرقا بالعـزم كالنجم . الابل الالد الممتنع .

(٦) نالت اى الكلاب نالت الثور . السلب (ككتف) الخفيف . ثور سلب الطعن بقرنه اى خفيفه . الروعة والوهل الخوف والفزع .

(٧) الطائش الذى لا يصيب اذا رمى . رث ضعيف بال . مغادر يغادر المعركة ويفر منها . الاعزل الذى لا سلاح معه .

(٨) طعنه شزرا اى عن يمين وشمال طعنا عنيفا . فتل الحبل شزرا اى عن يسـار ، وهو اشد لفتله . بسل عبوس . وجـه باســل عابس كـريه من أثر الغضب أو العـــزم والتصميم .

ويقدم هذه الصورة نفسها فى قصيدة أُخرى فيقول :

كأنِّى ورَحْلِى والفِتانَ ونُمْرُقى … على ظَهر طاوٍ أسفع الجِلد أَخْثَما(١)

عليه دَيَابُوذٌ تَسربَل تحتَــه … أَرَنْدَجَ إسْكافٍ يُخَالِط عِظْلِما(٢)

فبات عَذُوبًا للسماء كأَنما … يُوائمُ رهطا للعَزُوبة صُيَّما(٣)

يلوذ إلى أَرْطاةِ حِقْفٍ تَلُفُّه … خَرِيقُ شَمالٍ تترك الوجه أَقْتَما(٤)

مُكِبًّا على رَوْقيه يحفر عِرْقَها … على ظهر عريان الطريقةِ أَهْيَمَا(٥)

فلما أَضاء الصبحُ قام مبادِرا … وحان انطلاقُ الشاةِ من حيث خَيَّمَا(٦)

فصبَّحَه عند الشُّروق غُدَيَّةً … كلابُ الفتى البَكْرىِّ عَوْفِبنِ أَرْقَمَا(٧)

---

(١) الرحل للابل كالسرج للخيل . الفتان غشاء للرحل من الجلد . النمرق وسادة صغيرة يتكأ عليها ، أو هى بساط يفرش فوق الرحل . طاو وصف لموصوف محذوف ، أى ثور جائع . السفعة سواد يضرب للحمرة . الخثم عرض الأنف وغلظه . يشبه ناقته بثور وحش هذه صفته .

(٢) الديابوذ ثوب ينسج على نيرين (فارسى معرب) تسربل لبس . الارندج جلد أسود (فارسى معرب) . الاسكاف الصانع الحاذق . العظلم شجر يستخرج منه صبغ أسود يخضب به ، يصف الثور بشدة سواد قوائمه وأسفله .

(٤) يلوذ يلجأ . الأرطى شجر ضخم ينبته فى الرمال . الحقف ما اعوج وانعطف من الرمال . الخريق الريح الشديدة . الشمال ريح باردة تهب من الشام . أقتم أغبر .

(٥) مكبا مطأطئا رأسه يحفر هذه الأرطاة ليتخذ فيها كناسا يأوى اليه . روقه قرنه . على ظهر عريان الطريقة أى على ظاهر الطريق . أهيم منهار لا يتماسك . يقول ان الثور يحفر كناسا يأوى اليه فى هذا الموضع المكشوف الذى تنهال رماله غير متماسكة .

(٦) مبادرا من كناسه . الشاة الثور . خيم أقام .

(٧) غدية تصغير غدوة (بضم فسكون) ، وهى البكرة ، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . البكرى نسبة الى قبيلة بكر (قوم الأعشى) .

فأَطلقَ عن مَجْنوبِها فاتَّبَعْنَــه ... كما هَيَّج السامى المعسِّلُ خَشْرَما (١)

لدُنْ غُدْوةً حتى أتى الليلُ دونَه ... وجَشَّم صبرًا رَوْقَه فَتَجَشَّما (٢)

وأَنْحَى على شُؤْمَى يديه فذادها ... بـأَظْمأَ من فَرْعِ الذُّؤابة أَسْحَما (٣)

وأنحى لها إذْ هَزَّ فى الصَّدر رَوْقَه ... كما شَكَّ ذو العُودِ الجرادَ المخَزَّما (٤)

وأَدبَرَ كالشِّعْرَى وضوحًا ونُقْبةً ... يُوَاعِنُ من حَرِّ الصَّريمة مُعْظَما (٥)

فذلك بعدَ الجَهْدِ شَبَّهْتُ ناقتى ... إذا الشَّاةُ يوماً فى الكِنَاس تَجرْثَمَا (٦)

ويعرض النابغة الصورة نفسها فى معلقته وفى قصيدة مدح فيها النعمان وهى التى يبدأُها بقوله :

يا دارَ مَيَّةَ (بالعَلْياءِ) (فالسَّنَدِ) ... أَقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأَمَدِ

---

(١) جنب الدابة والبعير (كنصر) قادها الى جنبه والضمير فى (مجنوبهـــا) للكلاب . السامى الذى يسمو فى الجبل . المعسل الذى يجمع العسل ، وانما كان يجمع من أعشاش النحل فى الجبال . الخشرم جماعة النحل والزنابير .

(٢) لدن غدوة أى لدن غدا غدوة . روقه قرنه . جشم قرنه القتال لأنه سلاحه فى مقاتلة الكلاب ، فكأنه طلب منه أن يصبر .

(٣) انحى البعير اعتمد فى سيره على أيسره . اليد الشؤمى أى اليسرى . اظمأ اسمر دابل ، يقصد قرنه . الفرع الشعر . الذؤابة شعر الناصية . أسحم أسود . يقول ان الثور ذاد عن نفسه الكلاب بقرنه الشديد السواد .

(٤) انحى لها قصد اليها واقبل عليها . خرم اللؤلؤ (كضرب) شكله ونظمه . يقول ان الثور شك الكلاب حين كان يدفعها فى صدرها فكأنها جراد نظم فى عود .

(٥) ادبر أعرض وذلك بعد أن قتلها . الشعرى كوكب . النقبة اللون ، وهى كذلك الوجه . يواعن يدخل فى الوعان (بكسر الواو) وهو الارض الصلبة . الصريم الارض السوداء التى لا تنبت شيئا . المعظمة النازلة الشديدة .

(٦) الشاة الثور الوحشى . الكناس بيته فى أصول الأشجار . تجرثم دخل فى كناسه ، ومعناه فى الاصل اجتمع . وجرثومة الشىء أصله .

يشبه ناقته فيها بثور وحش قد أُفرد فى الصحراء نصفَ النهار ، وقتَ اضطرام الجر وتوهج الهاجرة ، فراح ينظر بعينيه ويتسمع بأُذنيه متوجسا حذرا . وزاد فى فزعه أن تفتحت السماء فأَصابه من مطرها وبَرَدِها ما جعل مبيته فى أسوإ حال . ثم ما لبث أن فاجأَه صائد يسوق معه كلابه ، فبثها عليه ، وأغرى به (ضُمْران) . فإذا كان منه بحيث أمره صاحبه تناوله الثورُ بقرنه الصلب فشكَّه فى فَرِيصته . وينفذ قرنه من الصفحة الأُخرى وقد تلطخ بالدم كأَنه سَفُّود انتظم عليه لحم . والكلب يعض أعلى القرن وقد تَقَبَّض لما هو فيه من شدة الوجع . ويرى (واشق) ما أصاب صاحبه (ضُمران) من موت وَحِيٍّ لا سبيل فيه إلى دية أو قصاص ، فيحدث نفسه قائلا «... إنى لا أرى طَمَعًا * وإن مولاكَ لم يَسْلَمْ ولم يَصِدِ» .

فإذا بلغ الشاعر من تصوير نشاط الثور وبسالته وإعيائه بعد هذا الجهد الشاق ما أراد تخلص منه إلى المدح قائلا :

فتلك تُبْلغنى النعمانَ إن له فضلًا على الناس فى الأَدنَى وفى البَعَدِ

ويقدم لنا امرؤ القيس تلك الصورة نفسها فى قصيدته :

أَمَاوِىَّ هل لى عندكم من مُعَرَّس أم الصَّرْمَ تختارين بالوصل نَيْأَسِ (١)

ونجدها كذلك فى معلقة لبيد :

عَفَت الديار ، مَحَلُّها فمُقامُها بمنًى تَأَبَّدَ غَوْلُها فرِجامُها(٢)

---

(١) ماوية صاحبة امرىء القيس . معرس اسم مكان من عرس اذا نزل بالمكان ليلا ليستريح فى سفره . الصرم الهجر واصله القطع .

(٢) المحل من الديار ما حل فيه لايام معدودة ، والمقام منها ما طالت الاقامة فيه . منى موضع بحمى ضرية ، غير منى الحرم . تأبد توحش . الغول والرجام جبلان معروفان .

وفى شعر أوس بن حَجَر التميمى فى أبياته التى يقول فيها : [١]

ففاتَهُن وأزمَعْن اللَّحاقَ به ... كأنهن بجَنْبَيْهِ الزنابيرُ[٢]

حتى إذا قلتُ نالته أوائلُها ... ولو يشاءُ لنجَّتْه المثَابِيرُ

كَرَّ عليها ولم يفشَلْ يمارسها ... كأنه بتَوالِيهن مسرور

يَشُلها بذَلِيقٍ حَدُّه سَلِبٌ ... كأنه حين يعلوهن مَوْتور[٣]

ثم استمرَّ يُبارِى ظِلَّه جَذِلًا ... كأنه مَرْزُبَانٌ فاز مَحْبُورُ

وهى كذلك فى شعر المتلمِّس حيث يقول : [٤]

وأدماءُ من حُرِّ الهجان كأنها ... بِحَرِّ الصَّرِيم ناشِئٌ متوجِّس

له جُدَدٌ سُودٌ كأن أَرَنْدَجًا ... بأكْرُعه وبالذِّراعَين سُنْدُس[٥]

وبالوجه دِيباجٌ وفوقَ سَرَاتِهِ ... دَيَابوذَةٌ والرَّوْقُ أَسْحَمُ أَملَس[٦]

يَجُول بذى الأَرْطَى كأنَّ سَرَاتَه ... كَبَرْقٍ بِرِيعٍ والسَّحابةُ تُرْجِس[٧]

---

(١) شعراء النصرانية ص ٤٩٤ .

(٢) ففاتهن الضمير لثور الوحش فى أبيات سابقة ، فات الكلاب التى تطارده .

(٣) ذليق محدد . سلب طويل اخفيف ، يقصد قرن الثور يطعن به الكلاب فى سرعة وخفة . يعلوهن أى كلاب الصيد . المرزبان الرئيس (فارسى معرب) محبور مسرور .

(٤) شعراء النصرانية (ط . اليسوعيين ١٨٩٠ م) ص ٣٤٥

(٥) الارندج والديابوذ وسائر الغريب سبق شرحه ص٧٠ . يصف تعدد الالوان فى جسم الثور .

(٦) الريع (بكسر الراء وفتحها) الجبل والمكان المرتفع . ذو الأرطى مكان ينبت به الارطى . والارطى جمع ارطاة وهى شجرة تنبت فى الرمل ، لها هداب ، تأوى الثيران الى أصولها وترتع فى هدبها . ترجس تهدر وترعد .

فبات إلى أرطاةِ حِقْفٍ كأنه   إلى دَفِّها فى آخر الليل مُعْرِسُ (١)

وفى شعر المثقِّب العَبْدى من قصيدته (٢) :

هل عند غَانٍ لفؤادٍ صَدِ   مِنْ نَهْلَةٍ فى اليَوْم أو فى غَدِ

وفى شعر النابغة الجَعْدِى من قصيدته (٣) :

خليلَىَّ عُوجا ساعةً وتَهَجَّرا   ولُومَا على ما أَحدَثَ الدهرُ أَو ذَرَا

وقد وصف أبو ذؤيب الهذلى ثور الوحش على هذا الأُسلوب فى مرثيته المشهورة لأَولاده الخمسة الذين ماتوا فى يوم واحد : (٤)

أَمِنَ المَنُون ورَيْبِهــا تَتَوَجَّعُ   والدهرُ ليس بِمُعْتِبٍ من يَجْزَعُ (٥)

وكانت لهم مع ذلك أَساليب يلتزمونها فى التخلص من الغزل إلى وصف النوق والأَسفار . إن كان الشاعر واقفا بالأَطلال قال : لما رأَيت أن الأَطلال لا تجيبنى نهضت إلى ناقتى . كقول زهير :

فلما رأَيتُ أنهــا لا تجيبنى   نهضتُ إلى وَجْنَاء كالفَحْل جَلْعَد (٦)

---

(١) الدف الجانب . أعرس المسافر وعرس (بالشديد) نزل فى آخر الليل ليستريح .

(٢) شعراء النصرانية ص ٤٠٠ ووصف الثور فى ص ٤٠٢ ، ٤٠٣

(٣) جمهرة أشعار العرب ، وهى أول المشوبات فيه

(٤) ديوان الهذليين (ط . دار الكتب ١٣٦٤ هـ) القسم الأول ص ١٠ — ٢٥

(٥) أعتبه أعذر اليه وارضاه .

(٦) الوجناء الناقة الشديدة . الفحل الذكر . وهو أضخم جسما من الأنثى ولكن الأنثى أدمث . الجلعد الصلب الشديد .

وإن كان يتحدث عن رحيل صاحبته قال : هل تلحقنى بهم ناقة . كقول زهير :

هل تُبلِغَنِّىَ أَدنى دراهِم قُلُصٌ   يُزْجِى أَوائلَها التَّبغيلُ والرَّتَكُ (١)

وقول عنترة :

هل تبلِغَنِّى دارَهُم شَدَنيَّةٌ   لُعِنَتْ بمحروم الشراب مصرَّم (٢)

وقول الأَعشى :

أَجَدُّوا فلما خِفْتُ أَن يتفرقوا   فريقين منهم مُصعِد ومُصوِّبُ (٣)

طلبتُهُمُ تطوِى بِى البِيدَ جَسْرةٌ   شُوَيْقِئَةُ النابَيْن وَجْنَاءُ ذِعْلِبُ (٤)

وإن كان يذكر صدود صاحبته عنه وإعراضها قال : فصرِّمْ حبلها واقطع ودَّها مثلما قطعت ودَّك ، بالسفر على ناقة شديدة . كقول زهير :

فصرِّمْ حبلَهـــا إذ صرَّمَتْه   وعادَكَ أَن تلاقِيهَا العَدَاءُ (٥)

---

(١) قلص جمع قلوص (بفتح العاف) وهى الناقة الفتية . التبغيل والرتك ضربان من سير الابل .

(٢) شـــدن ارض او قبيلة تنسب اليها الابل . عنى بالشراب اللبن . اى انها دعى عليها بأن تحرم اللبن فصرم لبنها وانقطع . يشير الى انها مخصوصة للرحلة لا ترضع ولدا

(٣) مصعد صاعد فى مرتفع . مصوب منحدر . جسرة ناقه ضخمة جريئه على الأسفار

(٤) شقا نابها ظهر حده حين تكون بازلا فى السنة التاسعة وهـــو اكتمـال قوتها . شويقئة تصغير شاقئة . وجناء غليظة . ذعلب خفيفة .

(٥) صرم قطع . عادك صرفك وشملك . العداء الشغل الشاغل .

بآرِزة الفَقَارةِ لم يخُنْهــــا　　قِطافٌ فى الركاب ولا خِلاءُ (١)

وقول لَبِيد :

فاقطعْ لُبانةَ من تَعَرَّضَ وصلُهُ　　ولَشَرُّ واصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُها (٢)

بِطَلِيحِ أسفارٍ تركْنَ بقيَّةً　　منها فأَحنَقَ صُلبُها وسنَامُها (٣)

وإن ذكر ما بينه وبين صاحبته من مودة قال فدعها وسلِّ الهمَّ عنك بجَسْرةٍ . وهو أكثر مذاهبهم شيوعا . كقول الأعشى :

وقد أسلِّ الهمَّ حين اعترَى　　بجَسْرَةٍ دَوْسَرَةٍ عَاقِرِ (٤)

وقوله :

فدعْها وسَلِّ الهمَّ عنك بجَسْرة　　تَزَيَّدُ فى فَضْلِ الزِّمامِ وتَغْتَلى (٥)

وقول امرىء القيس :

---

(١) آرزة دانية بعضها من بعض ، فعلها أرز (كضرب) . الفقارة مفرد فقار الظهر . يصفها بتد ـك الفقار ، أى انها وثيقة الخلق . القطاف مقاربة الخطو . ناقة قطوف عكس وساع (بفتح الواو) . الركاب الابل واحدتها راحلة . الخلاء ان تمكر الناقة براكبها فتبرك ولا تبرح ، فعلها خلات الناقة ، مثل حرن الفرس .

(٢) تعرض الشىء (لازم) تعوج ، وأبدى عرضه ، أو دخله الفساد . اللبانة الحاجة . الخلة المودة . يقول ان شر الصحاب من يقطع المودة بعد وصال .

(٣) ناقة طليح أعيتها الاسفار . أحنق ضمر . الصلب الظهر .

(٤) الدسر الدفع ، والدسار المسمار . والدوسرة الناقة الضخمة الموثقة .

(٥) تزيد أى تتزيد . تزيدت الناقة مدت عنقها وسارت فوق العنق (بفتحتين) وهو المشى المديد الفسيح . الزمام الحبل الذى تقاد به . الفضل الزيادة ، وفضل الزمام ماارخى منه ، أى أنها تسرع حين يرخى لها الزمام .. تغتلى تسرع .

فدعْها وسلِّ الهمَّ عنك بجسْرة ذَمُولٍ إذا صامَ النهارُ وهَجَّرا (١)

وقوله :

فدعْها وسلِّ الهمَّ عنك بجسْرة مُداخَلَةٍ صُمِّ العِظَام أَصُوصِ (٢)

وقوله :

فعزَّيتُ نفسى حين بانُوا بجَسْرة أَمُونٍ كبُنيان اليهودىِّ خَيْفَقِ (٣)

وقول طرفة :

وإنِّى لامضِى الهمَّ عند احتضَاره بعَوْجَاءَ مِرْقال تَرُوحُ وتَغْتَدِى (٤)

وقول علقمة الفحل :

فدعْها وسلِّ الهمَّ عنك بجسْرة كهمِّكَ ، فيها بالرِّدافِ خَبِيبُ (٥)

---

(١) ذمول سريعة . صام النهار قام قائم الظهورة . هجر حميت الهاجر واشتد حرها .

(٢) مداخلة مدمجة الخلق متماسكة البنية . صم العظام كأن عظامها لصلابتها مصمتة غير جوفاء . أصوص شديدة مجتمع لحمها .

(٣) أمون قوية يأمن راكبها . اليهودى هو السموءل صاحب الحصن المشهور (الأبلق) فى (تيماء) الذى أودع عنده امرؤ القيس دروعه وسلاحه قبل رحلتـه المشهورة الى قيصر الروم . الخيفق السريع جـدا من النـوق والخيـل والنعام . خفق البرق والسيف والريح والسراب والراية (كضرب ونصر) اضطرب .

(٤) احتضـاره حضـوره ونزوله به . العوجاء النـاقة التى لا تستقيم فى سيرها لفرط نشاطها . الارقال ضرب من سير الابل بين السير والعدو . الاغتداء سير النهار ، والرواح سير الليل . يعنى أنها تصل الليل بالنهار .

(٥) خبت النـاقة (كنصر) خبيبا أسرعت . الرداف جمـع رديف وهو الراكب خلف الراكب . أى انها لقوتها وشدة نشاطها تسرع وهى تحمل أكثر من راكب واحد . الهم العزم والقصد . كهمك أى موافقة لما تريد ، وعلى ما تتمنى .

وقول المسيَّب بن علس :

فتسلَّ حاجتَها إذا هى أعرضَتْ   بخَمِيصَةٍ سُرُحِ اليَدَيْنَ وَسَاعِ (١)

وقول المرقِّش الأكبر :

لَوْما تُسَلِّ حُبَّهــا جَسْرَةٌ   وهلْ تُسَلِّ حبَّها من أَمَمْ (٢)

وقول المثقِّب العَبْدى :

فسلِّ الهمَّ عنكَ بذات لَوْث   عُذَافِرَةٍ كمِطْرَقة القُيُون (٣)

ولهم فى وصف الناقة والأسفار صور وتشبيهات مألوفة شائعة بينهم. شبهوا الطرق فى الصحراء بالخطوط فى الكساء . فقال الأعشى :

وبَيْدَاء قَفْرٍ كبُرْدِ (السَّديرْ)   مشاربُها داثراتٌ أُجُنْ (٤)

وقال : فأفنيتُهــا وتعاللتُهــا   على صَحْصَحٍ كرِداءِ الرَّدَنْ (٥)

وقال طرفة :

أَمُونٍ كألواحِ الإرانِ نَصَأْتُها   على لاحبٍ كأنه ظَهرُ بُرجُد (٦)

---

(١) سرح اليدين مسترسلة سلسلة السير . وساع واسعة الخطو .

(٢) لوما مثل لولا للتمنى . الامم القرب والقصد . اى ان تسلى حبها ليس امرا سهلا قريبا .

(٣) اللوث القوة ومنه سمى الأسد ليثا . عذافرة صلبة قوية . القيون جمع قين (بفتح فسكون) وهو الحداد .

(٤) البرد ثوب مخطط . السدير أرض فى اليمن . المشارب المياه والآبار التى يشرب منها المسافر . داثرات مطموسة بالرمال . اجن جمع آجن وهو الماء المتغير اللون والطعم لركوده

(٥) أفنيتها الضمير للناقة . تعاللتها اخذت علالتها ، والعلالة البقية من كل شىء . الصحصح المستوى من الأرض . الردن الخز .

(٦) أمون مأمونة العثار . الاران النعش ، نصأتها زجرتها . اللاحب الطريق الواضح . البرجد كساء مخطط .

وقال المثقِّب العَبْدى :

فى لاحب تَعــزِف جِنّــانُه منفَهِقُ الثُّغْرةِ كالبُرْجُد (١)

وقال النابغة :

وناجِيةٍ عدَّيتُ فى مَتْن لاحبٍ كَسَحْل اليَمَانِى قاصد للمَنَاهل (٢)

وقال الحطيئة :

مستهلَك الوِرْد كالأَسْدىّ قد جَعَلَتْ أَيدى المطى به عاديَّةً رُغُبا (٣)

وشبهوا أَعلام الطريق بالرجال . فقال الأَعشى :

وبَيْــداءَ تحسبَ آرامَهــا رجالَ إياد بأَجْــلادِها (٤)

وقال المرقِّش الأَكبر :

وأَعرَضَ أَعلامٌ كأَن رُءُوسَها رءُوسُ رجال فى خليجٍ تَغَامَس (٥)

---

(١) عزف الجن ما يخيله الخوف لسالك الصحراء فى الليل من اصواتها . منفهق واسع. الثغرة (بالضم) الطريق والناحية .

(٢) ناجية صفة لموصوف محذوف اى ناقة مسرعة . السحل نوع من الثياب لا يبرم غزله قاصد للمناهل يمر بها . المناهل موارد الماء من آبار وغيره .

(٣) الورد . الماء المورود . مستهلك الورد نفد ما فى موارده من ماء . الاسدى ضرب من الثياب . عادية طرقا قديمة من عهد عاد . رغبا واسعة .

(٤) الارام حجارة تنصب على الطريق ليهتدى بها سالك الصحراء . اجلاد الانسان جسمه وبدنه ، واياد توصف بضخامة الاجسام .

(٥) أعرض بدا وظهر ، وكأنه أراك عرضه . الاعلام الجبال . الخليج هنا السراب شبهه بالماء . تغامس أى تنغمس . صورها وهى غارقة فى السراب كانها تطفو تارة وتغر قاخرى .

وقالوا إن الصحراء موحشة لا يسمع فيها إلا صوت البوم . فقال المرقش الأكبر :

وتَسمعُ تَزْقاءً من البُومِ حولَنا   كما ضُربَتْ بعد الهدوء النَّوَاقِسُ (١)

وقال الأعشى :

لا يَسمعُ المرءُ فيها ما يُؤنِّسُه   بالليل إلا نَئيمَ البُوم والضُّوَعَا (٢)

وقال المثقِّب العَبْدى :

أُمضِّى بها الأهوالَ فى كل قَفْرةٍ   ينادى صَدَاها آخرَ الليلِ بُومُها (٣)

وقال الأسْوَد بن يَعْفُر :

مَهَامِهًا وخُروقًا لا أَنيسَ بهـــا   إلا الضَّوابِحَ والأَصْداءَ والبُوما (٤)

وقال علقمة الفَحْل :

بمثلِها تُقطَع المَوْماةُ عن عُرُضٍ   إذا تَبَغَّم فى ظَلْمَائِه البُومُ (٥)

وقالوا إنها موحشة تعزف بها الجن . فقال الأعشى :

وبهمـــاءَ تَعزف جِنَّانُهـــا   مَناهلُها دائراتٌ سُـــدمْ (٦)

---

(١) شبه صياح البوم حين يرن فى هدوء الليل بصوت الناقوس .

(٢) الضوع طائر من طيور الليل . النئيم صوته .

(٣) الصدى طائر يصر فى الليل .

(٤) المهمة (كجعفر) الصحراء . الخرق الصحراء الواسعة تنخرق فيها الريح . ضبح الأرنب والثعلب والصبدى والبوم والأسود من الحيات والفرس (كقطع) صوتت .

(٥) الموماة الصحراء . عن عرض أى اعتسافا على غير قصد وكيفما اتفق من غير مبالاة . تبغم البوم صوت . سدم آسنة واكدة .

(٦) فلاة يهماء لا يهتدى سالكها . مناهلها آبارها . دائرات مطموسة . سدم آسنة متغيرة

وقال :

وبلدةٍ مثلِ ظَهْرِ التُّرس مُوحشةٍ   للجِنِّ بالليل فى حافاتِها زجَلُ(١)

وقال طرفة :

وركوبٍ تَعـــزِفُ الجنُّ به   قبلَ هذا الجِيلِ مِن عهدِ أَبَدْ(٢)

وقالوا إن الناقة كانت قبل السفر موضع عناية صاحبها ، فأحسن علفها والقيام عليها .

قال الأعشى :

بَناها السَّوادِىُّ الرَّضِيخُ مع الخَلَى   وسَقْيِى وإطعامى الشَّعيرَ بمِحْفَدِ(٣)

وأجمل منه قوله فى موضع آخر أبرز فيه ذلك المعنى :

بَقِيَّـــةِ خَمسٍ من الرامســـا   ت بِيضٍ تُشَبِّهن الصُّوارا(٤)

دُفِعن إلى اثنين عند الخُصُو   صِ قد حَبَسَا بيْنهن الإِصارا(٥)

فعـــادا لهن ورَازَا لهــ   ن واشتركا عملًا وائْتِمارَا(٦)

---

(١) الزجل الجلبة . الترس صفحة من الفولاذ يتقى بها المحارب . مثل ظهر الترس اى جـرداء .

(٢) طريق ركوب مركوب مذلل . الأبد الدهر والقدم .

(٣) السوادى النوى . الرضيخ المرضوخ أى المدقوق مع الخلى وهو الحشيش لتعلفه به . المحفد (بكسر الميم) قدح يكال به . أو هو (بالفتح) مصدر ميمى من حفده أى جد ونشط فى خدمته .

(٤) الرامس كل دابة تخرج بالليل . الصوار قطيع البقر .

(٥) الخصوص جمع خص وهو بيت يتخذ من القصب يقيم فيه الرماة وأشباههم . الاصار الحشيش .

(٦) راز الشيء قام عليه وأصلحه ، الائتمار التشاور فى الأمر .

فهذا يُعِـــدُّ لهن الخَلَى ويجمع ذا بينهن الخِضارا (١)

...فكانت سَرِيَّتُهـــن التى تروق العيونَ وتَقْضِى السِّفارا (٢)

وقال طرفة :

تَرَبَّعَت القُفَّين فى الشَّوْلِ تَرْتَعى حدائقَ مَوْلِيِّ الأَسِرَّة أَغْيَد (٣)

وقال المثقِّب العبدى ·

كَسَاها تامِكًا قَرِدًا عليهـــا سَوَادِىُّ الرَّضِيخِ من اللَّجِين (٤)

وقالوا إن حر الهاجرة لا يذهب بمرح الناقة ونشاطها . فهى تسرع كأنما عَلِق برَحلها هرٌ ينشب فيها مخالبه فيستحثها على الجرى .

قال الأعشى :

وجَزُورِ أَيْسار دعَوتُ لحتفها ونِياطِ مُقفِرةٍ أخاف ضَلالَها (٥)

بهماء مُوحشةٍ رفعتُ لعَرْضِها طَرْفى لأَقْدِرَ بينها أميالَها

---

(١) الخلى الرطب من النباب والبقل .

(٢) سريتهن خيرهن .

(٣) التربع رعى كلا الربيع . القف ما غلظ من الارض وارتفع لنباته اغـزر وانضر . الشول التى تشول بذنبها طلبا للقاح . يشير الى انها حائل غير حامل لانها مدخرة للرحلة . الولى المطر بعد المطر . الاسرة جمع سر ، وسر الوادى وسراته خيره . اغيـد ناعم ، يصف الوادى الذى رعته ناقته فى الربيع بانه قد مطر مطرا غزيرا فامرع وغزر عشبه .

(٤) تامكا صفة لموصوف محذوف اى سناما تامكا اى مرتفعه مكتنزا . قردا متكاثفابعضه فوق بعض . السوادى النوى . الرضيخ المدقوق . اللجين فعيل بمعنى مفعول . لجن الورق ونحوه خبطه وخلطه بدقيق او شعير حتى يثخن فيعلفه الابل .

(٥) جزور أيسار ناقة دعا لذبحها فى الميسر . نياط الصحراء اقطارها البعيدة .

بجُلالةٍ سُرُحٍ كأَنَّ بغَرْزِها هرًّا إذا انتعل المطيُّ ظلالَها[١]

وجميل منه قوله «إذا انتعل المطى ظلالها» يقصد: وقت الهاجرة حين تُسامِتُ الشمسُ المطيَّ فيكون ظلها تحت أقدامها . وهو شبيه بقوله فى موضع آخر :

فى مَقِيلِ الكِنَاس إذْ وَقَدَ اليو مُ إذا الظلُّ أحرزَتْهُ الساقُ

ومع جمال هذه الصورة ، نجد أن عمرو بن قَمِيئة قد سبقه إليها فى قوله :

وبيداءَ يلعبُ فيهـــا السَّرا بُ يَخْشَى بها المُدْلِجون الضَّلالا

تجاوزتُهـــا راغبًا راهبًـــا إذا ما الظباءُ اعتنَقْن الظلالا

وقال المثقِّب العَبْدى فى تصوير نشاط الناقة :

فسَلِ الهمَّ عنكَ بذاتِ لَوْثٍ عُذافِرَةٍ كمِطْرقة القُيُون

بصادقةِ الوَجِيفِ كأَنَّ هِرًّا يُباريهـــا ويأخذُ بالوَضِينِ[٢]

وقال :

كأَنَّ جَنِيبًا عندَ مَعْقَد غَرْزِها تُزاولُه عن نفسه ويَزيدُها[٣]

---

(١) الغرز ركاب الرحل الذى يضع الراكب فيه رجله اذا كان من جـلد . فاذا كان من حديد او خشب فهو ركاب .

(٢) الوضين سير عريض يشد الهودج الى بطن الناقة .

(٣) الجنيب هر متعلق بجنب الناقة ينهشها . تزاوله تعالجه محاولة دفعـه والقاءه . فيزيدها خدشا ونهشا .

وقال امرؤ القيس :

بعيدة بين المَنْكِبَيْن كأنما   ترى عند مجرَى الضَّفْرِ هِرًّا مشجَّرا

وقال : كأنَّ بها هرًّا جَنِيبًا تجرُّه   بكل طريق صادفَتْه ومأ

وقد زاد عنترة فى هذا المعنى وجوَّد حين قال :

وكأنما تنأَى بجانب دَفِّهـــا الـ   ـوَحْشِيِّ من هَزِج العشِيِّ مُؤَوَّمِ

هرٍّ جنيبٍ كلما عطفَتْ له   غَضبَى اتَّقاها باليدَيْن وبالف

وأخذه الأخطل بعد ذلك فقال :

كأنما يعتريهـــا كلما وَخَدَتْ   هرٌّ جَنيبٌ به مَسٌّ من الكَلَـ

وشبهوا الناقة فى ضخامتها بالبنيان . فقال الأعشى :

مَرِحَتْ حُرَّةٌ كقنطرة الرُّو   مىِّ تَفْرِى الهَجِيرَ بالإرْقا

وقال :

فأَضحَتْ كبنيان التِّهامى شادَه   بطينٍ وجيَّارٍ وكِلْسٍ وقَرْمَـ

وقال : وعُذَافِرٍ سَدَسٍ تخال مَحَالَهُ   بُرْجًا تشيِّده النبيطُ القَرْمَدَا (٣

(١) مشجرا من شجر الشىء (كنصر) ربطه . وتشاجر الشىء تداخل بعضه فى بعض الضفر حزام الرحل .

(٢) الوحشى من البهائم الجانب الايمن لانه لا يركب منه ولا يحلب منه . هزج العش هو الهر الذى يخدشها ويموء فى العشى . مؤوم ضخم الراس . ويقول ان الناقة تنأ بجنبها من شدة نشاطها كأن هرا يخدشها .

(٣) العذافر العظيم الشديد من الابل . السدس قبل البازل فى الثامنة من عمره . المحا الفقرة من فقار الظهر . القرمد الآجر والخزف المطبوخ . ينسب البنيان للنبيط او الرو او اهل القرى من تهامة لان البدو وهم كثرة العرب لا بنيان لهم .

وقال طرفة :

كقنطرة الرومى أقسم ربُّها　　لتُكْتَنفَنْ حتى تُشادَ بقَرْمَد

وقال امروُ القيس :

فعزَّيتُ نفسى حين بانوا بِجَسْرة　　أَمُونٍ كبنيان اليهودى خَيْفَقِ

وقالوا إن الناقة متلاحمة الفقار . فقال الأعشى :

ودَأْيًا تلاحَكْنَ مثلَ الفُئُو　　س لاحَمَ منها السَّلِيلُ الفِقَارا (١)

وقال : لها فخذان تَحْفِزَان محَالَةً　　وصُلْبًا كبنيان الصَّفَا مُتلاحِكا (٢)

وقال طرفة :

وَطَىٌّ مَحَال كالْحَنِىِّ خُلوفُه　　وأَجْرِنَةٌ لُزَّتْ بَدَأْيٍ منضَّدِ (٣)

وقال زهير :

فَصرِّمْ حَبْلَها إذ صَرَّمَتْه　　وعادَكَ أن تلاقِيهَا العَدَاءُ

بآرِزَةِ الفَقَـــارَةِ لم يخُنْهَا　　قِطافٌ فى الرِكاب ولا خِلاءُ (٤)

---

(١) ألداى الفقار . تلاحكن تماسكن وتلازمن . السليل طرائق لحم طوال تحف الصلب وهو سلسلة الظهر .

(٢) تحفزان تدفعان . الصفا الحجر . متلاحك متماسك .

(٣) طى بنيانها . شبه به الفقار فى تراصفها وتلاحمها . الحنى القسى مفردها حنية . الخلوف الاضلاع جمع خلف (بفتح فسكون) ، شبهها بالقسى لانحنائها . الجران باطن العنق . لزت ضمت . الداى خرز الظهر والعنق . منضد مرصوف .

(٤) سبق شرح البيتين ص ٧٥ ، ٧٦ .

وقالوا إن السير قد برى سنامها . فقال الأعشى :

بادْماءَ حُرْجُوجٍ بريَتُ سنامَها بِسَيْرِى عليها بعد ماكان تامِكا (١)

وقال زهير :

جُماليةٌ لم يُبْقِ سَيْرى ورِحْلتى علي ظهرها من نَيِّها غيرَ مَحْفِدِ (٢)

وشبهوها وقد علت فوقها الظعائن بالسفين . فقال طرفة :

كَأَنَّ حُدوجَ المالِكِيَّة غُدْوةً خلايا سَفينٍ بِالنَّواصِفِ من (دَدِ) (٣)

عَدَوْلِيَّةٌ أو من سفين ابن يَامِنٍ يَجُور بها المَلَّاح طورًا ويَهْتَدِى (٤)

يَشُقُّ حَبَابَ الماءِ حَيْزومُها بها كما قَسَمَ التُّرْبَ المُفايِلُ باليَدِ (٥)

وقال المرقش الأكبر :

لمن الظُّعْنُ بالضُّحَى طافِيَاتٍ شِبْهُها الدَّوْمُ أو خَلَايا سَفِينِ (٦)

---

(١) أدماء ناقة بيضاء . حرجوج طويلة . تامك مرتفع ضخم مكتنز .

(٢) جمالية خلقتها خلقة الجمل ضخامة . نيها شحمها . المحفد أصل السنام وبقيته.

(٣) الحدوج جمع حدج (بكسر فسكون) وهو مركب للنساء كالهودج . المالكية من بنى مالك بطن من كلب . الخلية السفينة العظيمة . النواصف جمع ناصفة وهى ما اتسع من الوادى . الدد والددن اللهو . وهى هنا اسم موضع .

(٤) عدولى قبيلة من اهل البحرين . يامن رجل من أهلها . يجور يعدل عن الطريق وينحرف . يشبه هودج صاحبته وهو يلوح من بعيد مهتزا فوق الناقة التى تتابع الطريق ، فى اعتداله تارة وانحرافه أخرى ، بسفينة تهتز فوق ظهر الماء تعتدل تارة وتنحرف أخرى .

(٥) حباب الماء الزبد الذى يعلو موجه . الحيزوم الصدر . الفيال ضرب من اللعب . يدفن الشىء فى التراب ثم يقسم نصفين . ويسأل اللاعب عن الدفين فى أيهما هو .

(٦) الظعن الهوادج فيها النساء ، جمع ظعينة ، الدوم شجر له ثمر معروف بهذا الاسم الخلايا جمع خلية وهى السفينة الضخمة .

وقال عَبيد بن الأبرص :

تَبَيَّنْ صاحِبِي أَتَرَى حُمُولًا يُشَبَّهُ سَيْرُها عَوْمَ السَّفِينِ(١)

وقال المثقِّب العبدى :

وهُنَّ كذاك حين قَطَعن (فَلْجًا) كأَن حُمولَهن على سَفِين

يُشبَّهن السَّفينَ وهن بُخْتٌ عِراضات الأَباهِرِ والشُّئُونِ(٢)

وقال : كأَنَّ الكُورَ والأَنْسَاعَ منها على قَرْوَاء ماهِرَةٍ دَهِينِ(٣)

يَشُقُّ الماءَ جُؤْجؤُها وتَعْـلُو غَوَارِبَ كلِّ ذى حَدَبٍ بَطِينِ(٤)

وقال النابغة :

كأَن الظُّعْنَ حين طفوْن ظُهرًا سفينُ البحر يمَّمْنَ القَرَاحا(٥)

وقال زهير :

سالَتْ بهم (قَرْقَرَى) ، (بِرْكٌ) بأَيْمُنِهم
ة (العالياتُ) وعن أيسارهم (خِيمُ)(٦)

---

(١) الحمول الهوادج جمع حمل (بكسر الحاء وفتحها) .

(٢) البخت الابل الخراسانية . عراضات جمع جمع . المفرد عريض والجمع عراض . الأبهران عرقان يخرجان من القلب وتتفرع منهما سائر الشرايين . الشئون العروق الموصلة للدمع . يكنى بعرض هذه العروق عن ضخامة الناقة .

(٣) الكور أداة الرحل . الانساع جمع نسع (بكسر فسكون) وهو السير الذى تشد به الرحال الى جسم الناقة . قرواء سفينة طويلة . ماهرة سابحة . دهين مطلية بالقار وهو الزفت أو القطران .

(٤) جؤجؤها صدرها . غارب كل شىء حده . الحدب ارتفاع الموج ، وذو الحدب هو البحر . بطين واسع الجوف .

(٥) القراح الارض لا ماء فيها ولا شجر .

(٦) قرقرى وبرك ... الخ كلها مواضع .

عَوْمَ السفين ، فلما حال دونَهُمُ .

(فَيْدُ القُرَيَّاتِ) و(العِتْكانُ) ﻓ(الكَرَمُ)

وقال امرؤ القيس :

فشبَّهتُهم فى الآل حين زَهَاهُمُ　　عصائبَ دَوْمٍ أو سفينامُقَيَّرا (١)

حَمَتْهُ بنو الرَّبْدَاء من آل يامِنٍ　　بأسيافهم حتّى أُقِرَّ وأُوقِرَا (٢)

وشبهوا آثار النسوع (وهى السيور التى تشد بها الرحال) فى جسم الناقة بآثار المشى أو مسيل الماء فى الصحراء ، حيث يترك طرائق واضحة .

فقال الأعشى :

فأبقى رواحى وَسَيْرُ الغُـــدُ　　وِّ منها ذَواتَ حِذَاءٍ قِصارا (٣)

وألواحَ رَهْبٍ كأن النُّسو　　عَ بيَّن فى الدَّفِّ منها سِطارا (٤)

وقال طرفة :

كأنَّ عُلوبَ النِّسْعِ فى دَأَياتِهـــا　　مَوَارِدُ من خَلْقاءَ فى ظَهْرِ قَرْدَدِ (٥)

---

(١) الدوم شجر ٠، مقيرا مطليا بالقار .

(٢) بنو الربداء وآل يامن أصحاب سفن من أهل البحرين . أقر استقر . أوقر أثقله الحمل .

(٣) الحذاء ماوطىء عليه البعير من خفه .ذوات حذاء قصارا : اراد ان اخفافها مجتمعة غير منتشرة ، وذلك من صفات العتق والنجابة فى الابل .

(٤) اللوح كل عظم عريض . الرهب الناقة المهزولة . الدف الجنب .

(٥) علوب آثار جمع علب (بفتح فسكون) . الدايات ضلوع الصدر فى ملتقاه ، جمع داى . موارد جمع مورد وهو الماء المورود . خلقاء ملساء ، يعنى صخرة ملساء . القردد الأرض الصلبة .

تَلَاقَى وأحيـــانا تَبينُ كأنَّهـــا بَنَائِقُ غُرٌّ فى قَميص مُقَدَّدِ[١]

وقال حسان :

ترى أثَرَ الأنْساعِ فيها كأنَّهـــا مَوَارِدُ ماءٍ مُلتَقاها بفَدْفَدِ[٢]

وشبهوا هيكل الناقة فوق أرجلها الطوال بألواح الإران (وهو النعش)

فقال الأعشى :

وتَراها تشكو إلىَّ وقـــد آ لَتْ طَلِيحَا تُحذَى صُدورَ النِّعالِ[٣]

نقَبَ الخُفُّ للسُّرَى . فتَرَى الأنْـ ـسَاعَ من حِلٍّ ساعة وارتحال[٤]

أثَّرَتْ فى جَنَاجِنٍ كإران الـ ـمَيْتِ عُولِينَ فوق عُوجٍ رِسَالِ[٥]

وقال طرفة :

أمُونٍ كألْوَاحِ الإرَانِ نصأتُها على لاحِبٍ كأنه ظَهْرُ بُرْجُدِ[٦]

---

(١) البنائق جمع بنيقة وهى الزيق الذى فى فتحة الصدر ونحوها . أو هى الدخاريص (جمع دخريص) وهى ما يوصل به البدن ليوسعه تضيق فى أعلى وتتسع فى أسفل . غر جمع غراء أى بيضاء . مقدد قطعه الحائك وفصله . يشبه الخطوط التى تركتها السيور فى جنب الناقة فى التقائها وافتراقها بخطوط هذه البنائق فى التقائها وافتراقها .

(٢) الفدفد الصحراء .

(٣) آلت رجعت . طليحا معيبة متعبة . النعل طبق من جلد يوقى به الخف ، ويكون من حديد لذوات الحافر .

(٤) نقب خف البعير رق وتثقب .

(٥) الجناجن عظام الصدر ، جمع جنجن (بكسر فسكون) . العوج قوائمها لأن أرجلها الخلفية معوجة غير مستقيمة . رسال طوال .

(٦) سبق شرحه ص ٧٨ .

وقال امرؤ القيس :

وعَنْسٍ كألْوَاحِ الإِرَانِ نَصَأْتُهــا على لاحبٍ كالبُرْدِ ذى الحِبَرَاتِ (١)

وقالوا إن الناقة تخاف السوط وتراقبه . فقال الأعشى :

تراقِبُ من أيْمَــن الجانِبَيْــ ـن بالكفِّ من مُحصَدٍ قدمَرَن (٢)

وقال : تَرَى عينَها صَغْواءَ فى جَنْبِ مُؤْقِها

تُراقِبُ كفى والقَطِيعَ المحرَّما (٣)

وقال زهير :

تُبَادِرُ أَغْوَالَ العَشِىِّ وتَتَّقِى عُلالَةَ مَلْوِىٍّ من القِدِّ مُحْصَدِ (٤)

وقال طرفة :

وإنْ شئتُ لم تُرْقِلْ وإنْ شئتُ أرقلَتْ مَخَافَةَ ملوِىٍّ من القِدِّ مُحصَدِ

وشبهوا ذنبها حين تضرب به يمينا وشمالا بالعُثكُول (وهو كِبَاسة البلح) . فقال الأعشى :

---

(١) عنس ناقة شديدة ، نصأتها زجرتها ، ونسأتها ضربتها بالمنسأة وهى العصا . ذو الحبرات يريد الثياب اليمنية الموشاة .

(٢) محصد مفتول . مرن لان من كثرة الاستعمال .

(٣) صغواء مائلة . المؤق طرف العين مما يلى الأنف . القطيع السوط . جعله محرما لان ناقته كريمة لا تحوجه الى ضربها ولكنها تخوف به .

(٤) أغوال جمع غول (بفتح فسكون) وهو الطريق . اى أنها تسرع فى العشى حتى تبلغ الراكب مأمنه . علالة ملوى اى بقية سوط ملوى . القد الجلد .

تَلْوِى بعلْقٍ خِصَابٍ كلَّما خَطَرَتْ   عن فَرْجِ مَعْقُومةٍ لم تَتَّبِع رُبَعَا(١)

وقال زهير :

وتَلْوِى بريَّانِ العَسِيبِ تُمِرُّه   على فَرْجِ مَحْرُومِ الشَّرَابِ مجدَّدِ(٢)

وقال علقمة :

كأَنَّ بحاذَيْهــا إذا ما تَشَذَّرَتْ   عَثَاكِيلَ قِنْوٍمن (سُمَيْحَة) مُرْطِب(٣)

تَذُبُّ به طَوْرًا وطورًا تُمِرُّه   كَذَبِّ البَشِيرِ بالرِّداءِ المهدَّبِ(٤)

وقال طرفة :

تَرِيعُ إلى صوتِ المُهيب وتتَّقِى   بذى خُصَلٍ رَوعاتِ أَكْلَفَ مُلْبِدِ(٥)

---

(١) لوى به وألوى به ذهب . العلق الكباسة وهى عنقود البلح . الخصاب جمع خصبة وهى النخلة ، خطرت ضربت بذنبها يمينا وشمالا . معقومة عاقر لانها مدخرة للرحلة . الربع ولد الناقه الذى يولد فى الربيع .

(٢) تلوى تضرب . العسيب منبت الشعر من الذنب . ريان كثير الشعر . الفرج ما بين رجليها . محروم الشراب أى اللبن ، لانها عاقر . جد الشىء (كنصر) قطعه . مجدد يابس وهو الضرع لانقطاع لبنها .

(٣) الحاذان ما وقع عليه الذنب من الفخذين . تشــذرت ضربت بذنبها . العثــاكيل الشماريخ . القنو العرجون ، وهو الذى تتفرع عنه الشماريخ ، مرطب نضج بلحه ، فأصبح رطبا (بضم ثم فتح) .

(٤) تذب تدفع الذباب . المهدب ذو الاهداب . البشير الذى يحمل الخبر الســار يلوح بردائه من بعيد .

(٥) تريع ترجع . أهاب به دعاه وناداه . يصف ناقته بالذكاء والفطنة . ذو خصل هو ذنبها . الروعة الافزاع . أكلف أحمر يضرب للسواد . ملبد متلبد الوبر . وذلك هو الفحل ينزو عليها فتتقيه ولا تمكنه من نفسها . يريد أنها حائل .

كأَن جَنَاحَىْ مَضْرِجِىٍّ تكنَّفا ... حِفافَيْه شُكَّا فى العسيبِ بمِسْرد[١]

فطورًا به خلفَ الزَّميــــل وتارةً ... على حَشَفٍ كالشَّنِّ ذاوٍ مجدَّد[٢]

وقالوا إنها لسرعتها وصلابة خفها تستثير الحصى فتسمع له رنينا .

قال الأَعشى :

ولقــــد أُحزِمُ اللُّبــــانةَ أَهلى ... وأُعلِّيهمُ لأَمــــرٍ قَذِيف[٣]

بشجاع الجَنَــــانِ يحتفرُ الظُّلــ ... ـماءَ ماضٍ على البلادِ خَشُوفِ[٤]

مُستَقلٍّ بالرِّدْفِ ما يَجْعَــــل الجِــ ... ـرَّةَ بعد الإِدْلاج غيرَ الصَّرِيف[٥]

ثم يُضحى من فَوْرِه ذا هِبابٍ ... يَستطيرُ الحصى بخُفٍّ كَثِيفِ[٦]

وقال المسيَّب بن عَلَس :

وإذا تَعَاوَرَت الحصَى أَخفافَها ... دوَّى نَوَادِيه بظَهرِ القاعِ[٧]

---

(١) المضرحى الأبيض من النسور . الحفافان الجانبيان . العسيب عظم الذنب.المسرد ما يخرز به الجلد ويثقب .

(٢) الزميل الرديف ، وهو الراكب خلف الراكب . حشف التمر يابسة الضئيل المتقبض قصد به اخلافها لانها لا لبن فيها . الشن القربة الخلق . ذاو دابل . مجدد جد لبنه(على البناء للمجهول) أى قطع .

(٣) اللبانة الحاجة . اهل الرجل عشيرته وزوجته . يحزمهم يحملهم على أن يحزموا امرهم ويمضوا لحاجتهم وهدفهم البعيد . أعديهم أصرفهم . قذيف بعيد .

(٤) الجنان القلب ، وشجاع الجنان هو الفحل الذى يركبه . خشف (كنصر وضرب) ذهب فى الأرض ومشى فى الليل .

(٥) الردف الراكبه خلف الراكب . مستقل بالردف يستخف به لقوته .الجرة مايجتره. الصريف صوت الاسنان اذا صر عليها . يصفه بالصبر على الجوع .

(٦) فوره هياجه . هباب نشاط . كثيف صلب غليظ .

(٧) تعاورت أخفافها الحصى تبادلته . القاع الأرض السهلة بين الجبال . ندا (كنصر) غرق . النوادى جمع نادى وهو ما تطاير وندا من الحصى .

وقال عَبْدَة بن الطبيب :

ترى الحصى مشفتِرًا عن مناسمها ... كما تُجَلْجِلُ بالوَغلِ الغرابيـــلُ

وقال طرفة :

فترى المَرْوَ إذ ما هَجَّـــرَتْ ... عن يديها كالفَرَاش المُشْفَتِرْ(١)

وقال المثقِّب العَبْدى :

كأَنَّ نفِيَّ ما تَنَفِى يداهـــا ... قذافُ غَريبة بيدَىْ مُعين(٢)

وقال بِشْر بن أَبِى خازم :

زَيَّافةٌ بالرَّحْل صادقةُ السُّرَى ... خَطَّارةٌ تَنفى الحصى بمُثَلَّم(٣)

وقال امرؤ القيس :

كأَن الحصى من خَلْفِها وأَمامِها ... إذا نَجَلَتْهُ رجلُها حَذْفُ أَعْسَرَا(٤)

وقال :

كأَن صليلَ المَرْوِ حين تُطيره ... صليلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدْنَ بعَبْقَرَا(٥)

وشبهوا عينها بالمرآة فى صفائها . فقال طرفة :

---

(١) المرو حجارة صلبة يقدح منها النار . هجرت سارت فى الهاجرة ، وهو وقت اشتداد الحر . اشفتر تفرق وانتشر .

(٢) النفى ما تنفيه أرجلها وتقذفه من الحصى . معين أجير يستعان به . يشبه قذف أرجلها للحصى بقذف ذلك الاجير للناقة الغريبة التى تندس وسط الابل لترد معها الماء فيطردها .

(٣) زيافة سريعة . المثلم هو خفها لانه مثلوم اى مشقوق .

(٤) نجلته رمته . الحذف (بالحاء والخاء) القذف . الأعسر الذى يعمل بيده اليسرى فهو اذا حذف بها فقلما يصيب . أى أن الحصى يتطاير فى كل اتجاه .

(٥) المرو الحصى . زيوف دراهم زائفة . انتقد الدراهم سمع رنينها ليميز الصحيح من الزائف . عبقر واد زعموا أن الجن تسكنه فنسبوا اليه غرائب الاشياء وبدائع الصناعات.

وعينان كالماوِيَّتَيْنِ استَكَنَّتَــــا بكهفَى حِجاجَىْ صخرةٍ قَلْتٍ مَوردِ(١)

وقال علقمة :

بعَيْنٍ كمراة الصَّناعِ تُدِيرُهـــا لمَحْجَرِها من النَّصِيفِ المثقَّبِ(٢)

وقال امرؤ القيس :

وعينان كالماوِيَّتَيْن ومَحجَـــرٌ إلى سَنَدٍ مِثْلِ الصفيح المنصَّبِ(٣)

ووصفوا أذنيها وأذنى الفرس بـأنهما صغيرتان تنبئان عن أصالة وصدق حس وذكاء . فقال طرفة :

مؤلَّلتَانِ تعـرفُ العِتْقَ فيهمـــا كسامِعَتَىْ شاةٍ (بحَوْمَلَ) مُفْرَدِ(٤)

وقال علقمة فى الفرس :

له حُرَّتان تعرفُ العِتقَ فيهمـــا كَسَامِعَتَىْ مذعورةٍ وسْطَ رَبْرَبِ(٥)

---

(١) الماوية المرآة كأنهم يشبهون صفاءها بصفاء الماء . استكننا استقرتا . الحجاج العظم المشرف على العين . شبه محجر العين بالكهف وبالقلت وهى النقرة فى الصخر يجتمع فيها الماء ، وماؤها أصفى ما يكون لانه لا يخالطه تراب او قذى . المورد هنا الماء ، يلمع فى القلت كما تلمع العين فى محجرها .

(٢) الصناع المرأة الحاذقة . المحجر تجويف العظم الذى فيه العين ، النصيف الخمار الذى تغطى به المرأة راسها وتستر به وجهها . منقب فى موضع العينين لتنظر المرأة من خلال الثقبين .

(٣) السند ما تستند اليه من حائط أو غيره . الصفيح المنصب الواح الحجارة الثابتة . يشبه رأس الناقة الذى يستند اليه محجرا عينيها به .

(٤) مؤللتان محددتان . العتق الكرم . الشاة ثور الوحش . حومل موضع . مفرد انفرد عن القطيع فهو حذر فى وحشته يتوجس الشر ويصغى فى يقظة وانتباه .

(٥) الحرتان الاذنان . مذعورة صفة لموصوف محذوف أى بقرة مذعورة . الربرب القطيع من بقر الوحش . وينسب البيت نفسه الى امرىء القيس فى القصيدة التى تخاصم فيها مع علقمة الى زوجته ، والقصيدتان متشابهتان فى كثير من الابيات .

وقد ظهر واضحا من كل ما قدمناه من نماذج وأمثلة أن افتنان الشاعر كان فى داخل إطار ثابت محدد لا يكاد يتجاوزه أو يخرج عنه . فالخطوط الجديدة كانت فى أكثر الأحيان فى التفاصيل لا فى أسلوب الصناعة .

ومهما يكن لذلك من دلالات ، فنى مقدمة هذه الدلالات أن الشعر العربى كان قد بلغ حدا من النضج والاكتمال قبيل الإسلام ، لايمكن تعليله فى أمة بدوية منقطعة ممزقة أمية ليس لها دولة ولا صولة ولا حضارة إلا أن يكون من صنيع الله الذى وجه العرب إليه وألهمهم إياه ليكون ممهدا لنزول القرآن الكريم بهذه اللغة التى شرف الله قدرها وخلدها به[1] .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) كتب الاستاذ محب الدين الخطيب فى افتتاحية العدد ٨١١ من مجله الفتح (جمادى الاولى ١٣٦٣) فى هذا المعنى مقالا قيما تحت عنوان « القرآن معجزة بين معجزتين » ، قصد بالمعجزة الاولى نضج اللغة العربية قبل نزول القرآن . وبالمعجزة الثانية انتشارها السريع بعد نزوله . فالقرآن معجزة سبقته معجزة كانت كالتمهيد له . وتلته معجزة كانت كالمتممة له .

فهرس الأعلام والقبائل والمواضع

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس الموضوعات

فى شعر الخمر (ص ٧-٤٨)

فى شعر الأسفار (ص ٥١ – ٩٥)

